ظاهرة الإرهاب في منطقة الشرق الأوسط بعد عام 2011 سوريا واليمن – انموذجاً-

م.د. اسيل حمزة*
باحثة من العراق

* aseelhamza2018@gmail.com

ملخص :

تحظى قضية الإرهاب باهتمام كبير من المجتمع الدولي، لأن هذه الظاهرة تشكل بعدًا خطيرًا للأمن والاستقرار في المجتمع. إن ظهور الإرهاب لم يولد اليوم، ولكنه قديم، ومنذ ظهور الإنسان والإمبراطوريات، ولكنه يختلف باختلاف أنواعه، محليًا أو دوليًا، وأماكنه في أوروبا أو آسيا أو أسبابه.

عام 2011 م هو تحول في تاريخ الشرق الأوسط، وشهد ذلك العديد من الانتفاضات بينهم في مصر والتي أدت إلى سقوط النظام الحاكم لعقود ومحاولات أخرى في الخليج واليمن مع سقوط النظام هناك وتدخل الجماعات الارهابية فيه وتدهور خطير في دول مثل العراق وسوريا.

ان الوقوف بوجه الإرهاب يبقى هدفا أساسيا من المعارك التي يواجها التحالف العربي اليمني، كي يحافظ البلد على سيادته ويحمي نفسه من اي تنظيمات ارهابية من خلال تصدي الأجهزة الاستخباراتية لخلايا إلارهاب، فضلا عن ان الهجوم الإرهابي على سوريا اليوم جعل من الضروري وقوف القوات المسلحة العربية السورية لمواجهة هذا الإرهاب والقيام بدورها الدستوري وواجبها في الدفاع عن الوطن وحماية إنجازات الشعب.... ومن خلال الاستكشاف الدقيق وجمع المعلومات عن الجماعات الإرهابية المسلحة، والاطلاع على مراجعها ومصادر تمويلها وتسليحها وحماية الحدود.

إذا أصبح الإرهاب دوليًا وشاملًا، فعندئذ تقع على عاتق جميع دول العالم مسؤولية القضاء عليه بكل الطرائق والأساليب الممكنة، والتي يجب أن تحقق النصر بأقل ما يمكن من التضحيات المادية والبشرية للتخلص منه بشكل جذري وايجاد عالم حر من الإرهاب والجريمة.

كلمات مفتاحية : الإرهاب الدولي، الشرق الأوسط، المجتمع الدولي

The phenomenon of terrorism in the Middle East after 2011

Syria and Yemen - a model-

Dr. Aseel Hamza

ABSTRACT

The world community pays close attention to the problem of terrorism because it represents a menace to society's security and stability. The emergence of terrorism is not born today, but it is old and since the emergence of man and empires, but it differs in different types, local or international, and its places in Europe or Asia or its causes.

A major shift occurred in the history of the Middle East in 2011, with several uprisings taking place in Egypt that led to the fall of the ruling regime for decades and other attempts in the Gulf and Yemen with the fall of the regime there and the terrorist groups' interference in it as well as a serious deterioration in countries such as Iraq and Syria.

The fight against terrorism remains a priority and an essential part of the battle waged by the Arab coalition in Yemen, so that this country does not turn into a major arena for terrorist organizations, through the intelligence services' response to terrorist cells, in addition to the terrorist attack on Syria today made it necessary for the Syrian Arab Armed Forces to stand to confront this terrorism and to carry out its constitutional role and duty in defending the homeland and protecting the achievements of the people ... and through careful exploration and collection of information on armed terrorist groups, and access to their references, sources of funding, their arming, and border protection.

If terrorism becomes international and comprehensive, then it is the responsibility "of all countries of the world" to combat and combat it by all possible means and methods, which should achieve successes with the least human and material losses to eliminate it radically and create a world free from terrorism and crime.

KEYWORDS: international terrorism, the Middle East, the international community.

المقدمة

يحتل موضوع الارهاب اهتماما كبيرا من المجتمع الدولي , لما تشكله هذه الظاهرة من ابعاد خطيرة على الامن والاستقرار في المجتمع .وإن ظهور الإرهاب ليس وليد اليوم بل هو قديم ومنذ ظهور الإنسان والإمبراطوريات لكن يختلف باختلاف أنواعه محلي أو دولي ، وأماكنه في أوربا أو آسيا ، أو أسبابه. وهناك مناطق ذات أهمية ومناطق ذات موقع إستراتيجي تشتمل على منافذ بحرية مطلة على مناطق التواصل بين القارات التي تكمن أهميتها خصوصا في تنقل التجارة من جهة أو من خلال حملات توسعية مثل بريطانيا وفرنسا سابقا ولاسيما منطقة الشرق الأوسط.

يعد الإرهاب واحدا من المشاكل الاساسية في الشرق الأوسط مما يؤثر تأثيرا بالغا على العلاقات الدولية بسبب علاقاتها الداخلية والخارجية لدول العالم المختلفة.

يعد الإرهاب واحدا من المشاكل الاساسية في الشرق الأوسط مما يؤثر تأثيرا بالغا على العلاقات الدولية بسبب علاقاتها الداخلية والخارجية لدول العالم المختلفة

كما يعد تاريخ عام 2011م تحولا في تاريخ الشرق الأوسط وهذا لشهود دول انتفاضات عديدة منها في مصر أدت إلى سقوط النظام الحاكم لعشرات السنين ومحاولات أخرى في الخليج واليمن بسقوط النظام فيها وقيام جماعات إرهابية بالتشويش فيها وكذلك تدهور خطير في دول مثل العراق وسوريا.

وأصبح الإرهاب الدولي يشكل واحدة من أكثر التحديات الاجتماعية والسياسية التي تواجه البشرية خطورة من حيث حجمها، وعدم القدرة على التنبؤ بعواقبها. وإن الإرهاب يهدد أمن العديد من البلدان، ويتسبب بخسائر سياسية واقتصادية هائلة، كما يحدث تأثيراً نفسياً قوياً على السكان، فضلا عن التنظيمات الإرهابية في الظروف الحديثة تتميز بانتشارها على نطاق واسع، وبكونها ظاهرة عابرة للحدود.وهذا مانتطرق اليه في هذا البحث.

اهمية البحث :

تنبع اهمية البحث من ازدياد ظاهرة الارهاب في العالم , وبالأخص في منطقة من المناطق الحيوية في العالم الاوهي منطقة الشرق الاوسط والتي تُعد من المناطق المؤثرة في توازن القوى والمصالح ,مما يستلزم تسليط الضوء على هذه الظاهرة وعلى مفهوم الشرق الاوسط ,وعلى اسباب ودوافع الارهاب, وعلى أهم التنظيمات الارهابية في بعض الدول (اليمن –سوريا انموذجا) ،وتأثير ظاهرة الارهاب على الامن القومي العربي ، ومستقبل ظاهرة الارهاب في منطقة الشرق الاوسط (اليمن – سوريا انموذجا) .

فرضية البحث:

اصبح الارهاب احدى الظواهر المؤثرة في مناطق الشرق الاوسط , والتي ازداد بعد ثورات الربيع العربي عام 2011م , اذ تميزت التنظيمات الارهابية بانتشارها بشكل واسع , والتي اعتمدت على العنف والقتل لتحقيق اهدافها مما ادى الى انعدام الامن والاستقرار في هذه المناطق.

منهجية الدراسة : تم اعتماد بعض المناهج في الدراسة ومنها المنهج التاريخي، في دراسة التطورات التاريخية لمفهوم الشرق الاوسط وكذلك تعريفات الارهاب ,وتم الاعتماد على المنهج التحليلي في بيان اسباب ودوافع الارهاب.

هيكلية الدراسة : سيتم تقسيم البحث على مقدمة وخاتمة واستنتاجات واربع مطالب:

المطلب الاول: مفهوم الارهاب ومفهوم الشرق الاوسط .

المطلب الثاني: اسباب ودوافع الارهاب .

المطلب الثالث : التنظيمات الارهابية في الشرق الاوسط بعد عام 2011م(اليمن, سوريا انموذجا).

المطلب الرابع: مستقبل التنظيمات الارهابية في منطقة الشرق الاوسط (سوريا-اليمن انموذجا):

المطلب الاول: مفهوم الارهاب ومفهوم الشرق الاوسط .

اولا: مفهوم الارهاب :

1- الارهاب لغة:

يأتي الإرهاب في اللغة العربية من الفعل «رَهب , يُرهب, رَهبةً» أي خاف, ورهبه أي خافه. والرهبة هي الفرع والخوف وهو راهب من الله تعني خائف منه,وترهبه أي توعده أما في «القرآن الكريم» فقد تم توضيح معنى الإرهاب الى ما جاء في الآيات القرآنية التي تأتي بمعنى الفزع والخوف, والخشية, والرهبة من عقاب الله تعالى , فقد جاء في قوله تعالى:. «إنما هو اله واحد فإياي فارهبون», وورد «إنهم كانوا يسارعون في الخيرات ويدعوننا رغباً ورهباً»[1].

لكن بعض المعاجم الحديثة اكدت المعنى اللغوي لكلمة الارهاب. فقد وضح المنجد ان الارهابي هو من يلجأ الى الارهاب ليفرض سلطته. ووضح الوسيط ايضا أنَ الرهب هو الخوف والارهابيون وصف يطلق على الذين ينتهجون سبل العنف من أجل تحقيق اغراضهم السياسية.

ويعني الارهاب في معجم مصطلحات العلوم الاجتماعية «بث الرعب الذي يثير الخوف والفعل اي الطريقة التي تحاول بها جماعة منظمة او حزب أنْ يحقق اهدافه عن طريق استخدام العنف، وتوجه الاعمال الارهابية ضد الاشخاص سواء كانوا

(1) «كريم مزعل شبي, مفهوم الارهاب (دراسة في القانون الدولي والداخلي),مجلة اهل البيت ع,العدد2,,كربلاء,2005,ص32.»

افراداً او ممثلين للسلطة ممن يعارضون اهداف هذه الجماعة».

اما **التعريفات اللغوية** لمفردة الارهاب آلتي وردت في كتاب واقع الارهاب في الوطن العربي للدكتور «محمد فتحي»:

1 .**القاموس الفرنسي «لاروس»** «الارهاب هو مجموعة أعمال العنف التي ترتكبها مجموعة ثورية او اسلوب عنف تستخدمه الحكومة».

2 .قاموس اللغة «روبير» يعرّف الارهاب بأنَه «الاستخدام المنظم لوسائل استثنائية للعنف من أجل تحقيق هدف سياسي».

3 .قاموس آكسفورد للغة الانجليزية «استخدام الرعب خصوصا لتحقيق اغراض سياسية».[2]

(2) حسن عزيزالحلو, الارهاب في القانون الدولي, رسالة ماجستير غير منشورة,الاكاديمية العربية المفتوحة, الدنمارك, 2007,ص270-ص30.

2- التعريف الفقهي للإرهاب:

على الرغم من الانتشار الواسع لمصطلح الإرهاب، إلا أنه لا يوجد تعريف دولي أو علمي ثابت، ويرجع ذلك إلى العوامل الأيديولوجية المختلفة المرتبطة بهذا المفهوم والثقافات المختلفة في العالم، أي العوامل المختلفة التي يتم أخذها في الاعتبار. قد لا تكون أعمال الإرهاب من منظور ثقافة أو مجتمع معين هي الحال بالضرورة في مجتمع آخر.[3]

(3) جمال نصار,ظاهرة الارهاب :محدداته وحقيقته المواجهة والتناقضات الدولية,مركز الجزيرة للدراسات,2015/4/2, ص4ينظر على الرابط التالي: https://studies. aljazeera.net/

ظهر الارهاب كتعبير وممارسة قبل قرنين من الزمن فاذا كانت الحروب قد بدأت مع بداية العنصر البشري

فقد ظهر الارهاب كتعبير وممارسة قبل قرنين من الزمن فاذا كانت الحروب قد بدأت مع بداية العنصر البشري فان الارهاب لم يتبلور واقعيا الا في عام 1793م وكان ذلك في عهد الترهيب في فرنسا من 10اذار/مارس عام 1793م الى 27تموز/يوليوعام 1794م ومنه اشتقت اللغتان الانكليزية والفرنسية كلمة الارهاب (**Terrorism**) بالانكليزية و(**Terrorisme**) بالفرنسية.[4]

(4) توفيق فارس العودات,الارهاب والقانون الدولي,مجلة دراسات الدولية,العدد18,مركز الدراسات الدولية,بغداد,2002,ص131.

ولقد حاول العديد من الفقهاء والأكاديميين اعطاء تعريف للإرهاب والتعريف بأدواته. وقد تم عقد العديد من المؤتمرات السياسية التي بذلت جهودا بالغة لوضع معيار شامل ووافي لكل انواع الارهاب ودوافعه ومن هذه التعاريف:-

ويعرفها البعض على أنها «العمل الإجرامي المصحوب بالرعب أو العنف أو الفزع يقصد تحقيق هدف معين». وهنا يربط الفقيه التحريض بالإرهاب والخوف بأهداف تحقيق إرهابية محددة، مما ينفي عشوائية اختيار الهدف.[5]

(5) «خضير ياسين الغانمي,ظاهرة الارهاب الدولي-العوامل الدافعة وكيفية معالجتها,مجلةجامعة اهل الب يت»,العدد16,كربلاء,2014,ص299 -ص300.

وعرف المؤتمر الدولي الذي عقد تحت اشراف عصبة الامم المتحدة عام 1937م من اجل عقد اتفاقية دولية لقمع ومنع الارهاب «بأنَها الافعال الجنائية الموجهة ضد

دولة ويكون الغرض منها او يكون من طبيعتها اثارة الفزع والرعب لدى شخصيات معينة او جماعات من الناس او لدى الجمهور».[6]

ويقول «هانز بيتر» وهو مستشار قانوني للّجنة الدولية للصليب الأحمر «الإرهاب ظاهرة اجتماعية ذات متغيرات عديدة للغاية، لذا لا يمكن وضع تعريف علمي لها»،لذلك لا داعي لتعريف الإرهاب ، طالما أنك تراقبه ، يمكنك أن تعرفه. وتشخيص السبب أهم من التعريف .[7]

ويقول الفقيه « واتسون» إن عملية الارهاب له عدة اهداف من أهمها هو جلب الانتباه أو الحصول على التنازلات وتحقق إغراض اذ إن الإرهاب «انه استراتيجية أو طريقة تحاول عن طريقها جماعه منظمه أو حزب من اجل الانتباه لأهداف هو فرض التنازلات لأغراضه من خلال الاستعمال المنظم للعنف».[8]

أنه نتاج العنف المتطرف الذي يرتكب من أجل الوصول إلى أهداف سياسية معينة يضحي من أجلها كافة المعتقدات الإنسانية الاخلاقية

وعرف الفقيه «ويلكنسون» الارهاب: «إلى أنه نتاج العنف المتطرف الذي يرتكب من أجل الوصول إلى أهداف سياسية معينة يضحي من أجلها كافة المعتقدات الإنسانية الاخلاقية».[9]

وعرف الدكتور «اسماعيل صبري مقلد» الارهاب الدولي بقوله «هو الارهاب الذي يتخطى الحدود السياسية للدول او أنَه الارهاب الذي تنتج عنه ممارسة ردود فعل واصداء دولية قد يتسع تأثيرها او يضيق بحسب الاحوال»، وبذلك يقصد الاستاذ أنَ الارهاب هو جريمة دولية يرفضها المجتمع الدولي عن طريق ردود الافعال والادانة التي تعقب العمل الارهابي.[10]

وعرفه الدكتور «احمد عز الدين» بأنَه: «استراتيجة عنف منظم ومتصل من خلال جملة من اعمال القتل والاغتيال وخطف الطائرات واحتجاز الرهائن وزرع المتفجرات وماشابه من افعال التهديد بها تهدف الى خلق حالة من الرعب العام, وذلك بقصد تحقيق اهداف سياسية».[11]

أنه نتاج العنف المتطرف الذي يرتكب من أجل الوصول إلى أهداف سياسية معينة يضحي من أجلها كافة المعتقدات الإنسانية الاخلاقية

وعلى الرغم من الجهود التي بذلت سواء على صعيد (الباحثين والفقهاء) أو على الصعيد الدولي, فمفهوم الإرهاب يستعمل بمعان مختلفة ومضامين ملتبسة، فكل طرف سواء كان نظاما سياسيا أو فاعلا اجتماعيا، أو باحثا أو مثقفا له معنى ومدلول خاص به، ومهما بذلنا من جهود في عملية التحديد، فإن مضامينه تظل مسألة خلافية.

(6) حميد السعيدي ,مقدمة في القانون الدولي الجنائي,ط1,مطبعة المعارف ,بغداد,1971,ص138.

(7) «- حسن عثمان علي، الإرهاب الدولي ومظاهره القانونية والسياسية في ضوء أحكام القانون الدولي العام،ط1, مطبعة مناره، أربيل، 2006،ص 30.

(8) خضير ياسين الغانمي, مصدر سبق ذكره,ص300.

(9)Wilkinsan p. three question terrorisme in coverment and oppositian val .8 na 3 londan 1973 p.292

(10) إسماعيل صبري مقلد ، الاستراتيجية والسياسية الدولية ، والمفاهيم والحقائق الأساسية ، ط 2 ، مؤسسة الابحاث العربية ، بيروت ، 1985 ، ص 47

(11) هيثم عبد السلام محمد,مفهوم الارهاب في الشريعة الاسلامية,ط1,دار اكتب العلمية,بيروت ,2008,ص26.

ثانيا: مصطلح الشرق الاوسط:

يمكن إرجاع أصل اسم الشرق الأوسط إلى البلدان الاستعمارية، حيث يتم استخدامها لوصف المنطقة الجغرافية الواقعة حول البحر الأبيض المتوسط والشرق والجنوب، وتمتد إلى الخليج العربي. سميت هذه المنطقة من الجغرافيين في العالم القديم في عصر الاكتشاف الجغرافي العظيم، وكانت مهد الحضارة الإنسانية ومهد الأديان في السماء، وهناك أسماء متعددة تشير إلى نفس المعنى الإقليمي، ولكن لفترات مختلفة وأسباب.:[12]

1- الشرق القديم او الاقدم:

لقد أستخدم علماء الآثار والحضارة هذا المصطلح للدلالة إلى المنطقة التي نشأت فيها أولى حضارات الارض أو ما تسمى بالعالم القديم، وهي المنطقة الممتدة من مصر والعراق وبلاد الاناضول وايران غربا .[13]

2- الشرق الاقصى:

يتخذ من الصين اساساً له وهي منطقة اقليمية واسعة تتمتع جغرافيا بامتداداتها المحيطية الكبيرة المطلة على المحيطين الهادي والهندي، وتؤلفها مجموعة اقليم واسعة تقع في شرق اسيا واقصى العالم وتتألف جغرافيا من: الهند والصين، منغوليا , اليابان , دول جنوب شرق اسيا.[14]

3- «الشرق الادنى»:

استخدم هذا المصطلح لأول مرة من قبل العالم البريطاني هوجارت في عام 1902م .نشر كتابًا بنفس الاسم في نفس العام. وكان يقصد هذه المنطقة الواقعة تحت سيطرة الإمبراطورية العثمانية، بعيدًا عن العالم، فضلاً عن تركيا ودولة الإمارات العربية المتحدة. البلقان.الدول، وكذلك مصر وإيران ليست جزءًا من هذا الاسم لأنها ليست تحت سيطرة الإمبراطورية العثمانية. من وجهة نظر سكان أوروبا الغربية، فإن الإمبراطورية العثمانية هي الشرق الأدنى، ولهذا السبب أنا استخدم هذا الاسم لتعكس المنظور الأوروبي.[15]

4- «الشرق الاوسط»:

اتفقت معظم أعمال الأمم المتحدة باللغات الإنجليزية والفرنسية والعربية على إدخال مصطلح «الشرق الأوسط» ليحل محل المصطلح السابق، والإشارة إلى المنطقة الممتدة من تركيا شمالاً إلى اليمن جنوباً، ومن ليبيا من الغرب لإيران شرقا. يرتبط مفهوم الشرق الأوسط وانتشاره بتطور التفكير الاستراتيجي البريطاني، لأن هذا التعبير استخدمه لأول مرة ضابط البحرية الأمريكية «ألفريد» عام 1902م. ماهان «، مؤلف نظرية القوة البحرية في التاريخ. لم يتم تأكيد استخدام هذا المفهوم حتى

(12) «يحيى احمد الكعكي : الشرق الأوسط وصراع العولمة ,دار النهضة العربية,بيروت ,٢٠٠٢ ,ص١٢٤ – ص125.

(13) صـدام حرير حمد,الصراع الدولي والاقليمي في الشرق الاوسط واثره على المنطقة العربية (انموذج ثورات الربيع العربي), العدد11, مجلة تكريت للعلوم السياسية ,تكريت ,2017,ص297.

(14) - محمود العفيفي , مشروع الشرق الاوسـط الكبير واثره على النظام الاقليمي , رسالة ماجستير منشورة, جامعة الازهـر, غزة,2012,ص12-ص24.

(15) ممدوح محمود مصطفى, الصراع الامريكي –السوفيتي في الشرق الاوسـط, مكتبة مدبولي،القاهرة, 1995,ص29».

ظهور الحرب العالمية الثانية عام 1939م، لذلك أسس مركز إمداد الشرق الأوسط وقيادة الشرق الأوسط، وتم استخدام هذا المفهوم في الحرب العالمية الثانية. انتشرت في الفترة اللاحقة، ومع ذلك، لا تزال هناك اختلافات كثيرة في تعريف المنطقة التي يشير إليها المصطلح.[16]

(16) صدام حرير حمد, مصدر سبق ذكره, ص289.

يرتبط مفهوم الشرق الأوسط وانتشاره بتطور التفكير الاستراتيجي البريطاني، لأن هذا التعبير استخدمه لأول مرة ضابط البحرية الأمريكية "ألفريد"

على الرغم من أن مصطلح «الشرق الأوسط» قد تم حله، إلا أنه لا يوجد إجماع كامل على نطاق المنطقة، حيث تم تعيين حدود الشرق الأوسط بأشكال مختلفة تمامًا بسبب الاختلافات في المصالح والمعايير. ويمكن القول إنَ منطقة الشرق الأوسط تمتد من اثيوبيا في الجنوب وتركيا في الشمال وأفغانستان وباكستان في الشرق إلى المغرب في الغرب. وهناك العديد من المعايير المختلفة والعديد من الطرق لتحديد حدود الشرق الأوسط، وسنحاول إظهار مدى تعقيد الموضوع في الأدبيات العلمية من خلال ذكر بعض الآراء الشعبية المختلفة. على سبيل المثال، عندما ننظر إلى الكتاب الذين يأخذون في الاعتبار المعايير الجغرافية المرتبطة برسم حدود المنطقة الممتدة بين الشرق الأوسط، يرى الباحث «براون» «بأن الشرق الأوسط هو حدود الإمبراطورية العثمانية السابقة، أي أن الشرق يشمل الجزائر، تونس، ليبيا، لبنان، مصر وسوريا وفلسطين والعراق والبحر الأبيض المتوسط، البحر الأحمر والخليج العربي وبحر قزوين».

لا يوجد إجماع كامل على نطاق المنطقة، حيث تم تعيين حدود الشرق الأوسط بأشكال مختلفة تمامًا بسبب الاختلافات في المصالح والمعايير

أما الجغرافي السويسري «بوش» يستخدم المصطلح الالماني «Osten Mittlerer» عن الشرق الاوسط ويرى «بأن حدود المنطقة كمنطقة جغرافية هي بين ساحل بلاد الشام وريفها، والسهول من نهري دجلة والفرات، والشمال مناطق الصحراء العربية والخليج العربي». ويرى «هيدسون» «أن الشرق الأوسط ككل يتكون من ثلاثة أنظمة جزئية: الشرق العربي المشرق، و شمال افريقيا, المغرب العربي,ومنطقة الخليج ,الخليج».

مع تفكك الاتحاد السوفياتي حدثت تغيرات هائلة في مجال العلاقات الدولية وفي مناطق جغرافية مختلفة من العالم بما في ذلك الشرق الأوسط، وتغيرت جميع القيود المفروضة على الشرق الأوسط وتأثرت بشدة. بعد تفكك الاتحاد السوفيتي، سيطر السكان المسلمون على البلدان المستقلة مثل «أذربيجان وكازاخستان وتركمانستان وقيرغيزستان وأوزبكستان وطاجيكستان» وكان لها تقاليد ثقافية إسلامية في آسيا الوسطى والقوقاز. وبحسب بعض الكتاب والباحثين، فإن هذه الدول في طور التحولات المتعددة، وبسبب هويتها الإسلامية، شكلت هذه

الجوانب مساحة كبيرة جديدة بالمعنى الثقافي والسياسي.ووفقا للباحث «لويس» «هذه البلدان التي هي جزء من الشرق الأوسط بالمعنى الثقافي والعرقي، اللغوي والديني في الماضي قد إكتسبت مرة أخرى هذا البعد التاريخي بعد إستقلالها». و أن الباحث «روبنز» أكد «بأن كلا المنطقتين تمتلكان إرثا تاريخيا، ثقافيا وسياسيا مشترك. وان حدود الشرق الأوسط يمكن توسيعها لتشمل آسيا الوسطى بسبب أربعة معايير: هي نظام الدولة, الدين , الثقافة,اللغة».

أدى تفكك «الاتحاد السوفيتي» وحرب الخليج الثانية عام 1991م إلى إعادة ترتيب حقائق جديد، وحرر السياسة الأمريكية من قيود فعالة، ومن ثم منحها فرصة جديدة لإعادة تعريف الشرق الأوسط وفقًا لمصالحها الخاصة، بما في ذلك العودة إلى الفكرة السابقة لدمج المنطقة العربية في منطقة أكبر. جغرافيا وديموغرافيا، يربط الدول العربية في شرق الجزيرة العربية مع تركيا وإيران، ويدخل الكيانات الإسرائيلية في المنطقة من خلال مشروع الشرق الأوسط. حاولت واشنطن فرض وجهات نظرها على الشرق الأوسط من خلال العديد من القضايا المتشابكة بين مستوييها العالمي والإقليمي مثل»التسلح واللاجئين والمياه والتعاون الإقتصادي مع السعي لتأسيس نماذج للتعاون والتكامل الإقتصادي والأمني على أسس جيواستراتيجية.»

وان حدود الشرق الأوسط يمكن توسيعها لتشمل آسيا الوسطى بسبب أربعة معايير: هي نظام الدولة, الدين , الثقافة,اللغة".

منذ عام 1997م، كانت الولايات المتحدة الأمريكية تعتمد على المفهوم الأوسع للشرق الأوسط الكبير، لأن هذا المفهوم الجديد يشمل تركيا وإيران والدول الإسلامية الغنية بالنفط في آسيا الوسطى، فضلاً عن سوق ضخم للبضائع الأمريكية. وقد تأكد ذلك فيما بعد من خلال إعلانها .. خطط ومعرفة مشروع الشرق الأوسط الكبير (الدول العربية: باكستان، أفغانستان، إيران ، تركيا ، إسرائيل) ومصطلحات أخرى مثل: الشرق الأوسط الجديد والشرق الإسلامي. يمكن القول إن مصطلح الشرق الأوسط بعد انتهاء الحرب الباردة لا يزال مصطلحًا غامضًا، فمن الناحية الجغرافية ليس له حدود واضحة، فهو يشمل أحيانًا الدول العربية وأحيانًا يخرجه من إطار هذا المفهوم. وقد وسعت دول المغرب العربي على وجه الخصوص، وبعض الدول وخاصة الولايات المتحدة، مصطلح الشرق الأوسط ليشمل أفغانستان، وقد يمتد شرقًا وشمالاً إلى تركيا، بينما فرضت إسرائيل دائمًا على هذه المجموعة.[17]

إن منطقة الشرق الأوسط من أهم المناطق التي تؤثر على ميزان القوى والمصالح في العالم، وموقعها الاستراتيجي المتفوق يجعلها ضمن قانون المعارضة والصراع المتداخلين

لذلك يمكن القول إن منطقة الشرق الأوسط من أهم المناطق التي تؤثر على

(17) «عبد الرزاق ابو زيدي,التنافس الامريكي -الروسي في مطقة الشرق الاوسط(دراسة حالة الازمة السورية 2010-2014),رسالة ماجستير منشورة,جامعة محمد الخضر,الجزائر,2014,ص35-ص42.

ميزان القوى والمصالح في العالم، وموقعها الاستراتيجي المتفوق يجعلها ضمن قانون المعارضة والصراع المتداخلين. قارات العالم القديم، قارات آسيا وأوروبا وأفريقيا، وتماسكها الجغرافي، سيطرت بدورها على أهم الممرات الدولية. مثل «قناة السويس، مضيق ماندي، جبل طارق، البوسفور، الدردنيل، تحتضن البحر الأحمر». تضارب المصالح الدولي. (انظر خريطة الشرق الأوسط)

«خارطة الشرق الاوسط:صدام حرير حمد,الصراع الدولي والاقليمي في الشرق الاوسط واثره على المنطقة العربية (انموذج ثورات الربيع العربي), العدد11, مجلة تكريت للعلوم السياسية ,تكريت,2017,ص29

المطلب الثاني: دوافع واسباب الارهاب :

- تتباين أسباب الإرهاب ودوافعه بتباين نوع العمل الارهابي وممن صدر «فرد أو جماعة أو دولة»؛ وقد تكون هذه الأسباب مختلفة ومتعددة، ويمكن أنْ نقسم هذه الاسباب والدوافع إلى: «دوافع شخصية»، وأخرى «مجتمعية».

«اولا: الدوافع والاسباب الشخصية»:

تختلف الاسباب والدوافع الشخصية التي تدفع الإرهابي إلى ارتكاب جريمة لتحقيق هدف شخصي، أو بسبب عامل يتعلق بشخصيته، وهذه الدوافع:»هي دوافع نفسية، وسياسية، وإعلامية».

1- **الدوافع والاسباب السياسية:** هنالك مجموعة من الدوافع السياسية التي توفر المناخ المناسب للممارسة الإرهاب وتنفيذ العمليات الإرهابية، ومن هذه الدوافع ما يلي[18]:

- الرغبة في الحصول على الاستقلال والحق في تقرير المصير، فعلى الرغم

(18) جمال نصار, مصدر سبق ذكره،ص4.

من تأكيد القرارات الدولية على حق الشعوب في تقرير المصير إلا أنه ما زالت هناك شعوب مضطهدة، الأمر الذي يدفع حركات التحرر الوطني إلى انتهاج السلوك الإرهابي والقيام ببعض العمليات التخريبية لإضعاف النظم المستعمرة وإلحاق الضرر بها.

- الصراعات العرقية في بعض المناطق التي تأخذ الطابع المسلح وتلجأ إلى استخدام التكتيكات الإرهابية على المستوى الدولي ضد مصالح بعض العرقيات.
- مقاومة القوات الأجنبية والسيطرة الخارجية، ومعارضة أنظمة الحكم.
- السعي إلى جلب الاهتمام العام العالمي لبعض القضايا ذات الطابع السياسي.
- استخدام القوة وانتهاك الاستقلال والسيادة والوحدة الإقليمية للدول، واحتلال أراضي الغير والهيمنة على الشعوب، فضلا عن التدخل في الشئون الداخلية للدول.
- انعدام المشاركة السياسية للغالبية العظمى من أفراد الشعب، الأمر الذي يؤدي إلى الإقصاء والتهميش ويفتح المجال أمام المؤسسات الحكومية للتلاعب في المجال السياسي كيفما تشاء، ومن أجل خدمة قلة من السياسيين والعسكريين.
- فضلا عن الدوافع السابقة، قد يكون الدافع وراء الإرهاب السياسات غير العادلة التي تنتهجها الدولة تجاه الشعب، والصراعات المحلية الداخلية بين الشعب والسلطة، وممارسة إرهاب الدولة ضد شعب معين، أو الانتقام من دولة معينة من خلال الإضرار بمصالحها.[19]

وان حدود الشرق الأوسط يمكن توسيعها لتشمل آسيا الوسطى بسبب أربعة معايير: هي نظام الدولة, الدين , الثقافة,اللغة".

(19) عبد الرحمن علي غنيم,دوافع الارهـــاب الـدولـي,الـحـوار المتمدن,العدد6310 , 8 / 4 / 2019 ينظرعلى الرابط التالي: http:// /www.ahewar.org

2- الدوافع الاعلامية:

ساهمت الثورة الإعلامية الهائلة في العالم في نشر الفكر المتطرف، والمظاهرالأخلاقية الإباحية والمظاهر الأخلاقية للإلحاد، ويتوقف تحقيق أهدافه على نشر الأفكار التي يعمل بها ووضعها أمام الرأي العام العالمي والمجتمع الدولي. تنال التنظيمات الثورية التأييد الشعبي وتأييد الرأي العام لقضيتها، فتلجأ إلى التأييد لقضية ما. والدفاع، وترك نوعًا من التعاطف لمن يدافع عنها، وإجبار الحكومة والبلد على الاعتراف بالعدالة والشرعية، والاهتمام بها على المستوى السياسي، ومن الأمثلة في هذا الصدد، اختطاف الطائرات وتفجير السفارات والقنصليات، لأنها نجحت في إثارة تعاطف معين مع مرتكبي هذه الأعمال على مستوى الرأي العام العالمي من خلال التقارير الإعلامية وتقارير المتابعة التفصيلية. درجة الظلم الذي عانوه ودرجة المعاناة التي عانى منها شعبهم. ولابد من فرض

رقابة الدولة على هذه الأساليب وعقد اتفاقيات بين الدول المختلفة لمكافحة هذا النوع من الإعلام، من أجل منع التحريض على البث ونشر الأخبار الكاذبة والقنوات التلفزيونية التي تحاول إثبات الأفكار الكاذبة.[20]

3-" الدوافع النفسية»:

تلعب البنية النفسية للفرد دورًا مهمًا في تفاعله مع المجتمع، وقد أظهرت الدراسات ذات الصلة أن اضطراب النمو البدني والنفسي والعاطفي والبيئة الاجتماعية غير الصحية ترتبط ارتباطًا مباشرًا بالسلوك الإرهابي. الانضباط الذاتي والاضطراب الشخصي في الأسرة، وخاصة الانفصال عن الوالدين والأصدقاء.[21]

تلعب عوامل الشخصية النفسية دورًا في تقديم تفسيرات لأشكال معينة من الإرهاب، وهو ما ينعكس في نتائج أبحاث العلماء في مجال شرح السلوك غير القانوني لبعض الأشخاص غير الطبيعيين. الفرد سواء في تكوينه العقلاني أو العضوي الخارجي أو النفسي على سبيل المثال، هناك بعض المعوقات والعقبات النفسية، حيث يؤدي انتقال الخصائص الجينية أو الجينية داخل مجموعة عرقية إلى اكتساب الفرد لخصائص المجموعة العرقية الأخرى.عاملا إضافيا للمجموعات التي ينتمي إليها، بما في ذلك المجموعات السلوكية الشاذة والمنحرفة ضمن هذه المجموعات إن وجدت. في جوانب نفسية أخرى، عندما تتعرض هذه الشخصيات لصدمات غير مسبوقة مثل أمراض معينة أو تقلبات نفسية شديدة وضغط مفاجئ، تلعب هذه الشخصيات دورًا مهمًا في تجسيد السلوكيات الإجرامية، مثل الحزن والاختبارات المفاجئة. وهذه الحادثة لم تنته فقط بهذا التصور، ولكن بسبب إعاقته الدائمة، شكل عقدة من عقدة النقص المادي أو الجسدي، مما جعله موضع سخرية في المجتمع المتعايش بسبب عجزه الشخصي. يدرك إمكاناته وطموحاته المادية، ويوفر له ولأسرته مستوى معينًا من الاحتياجات المعيشية، وفي كلتا الحالتين يحاول الفرد تعويض عقدة النقص الناتجة عن السلوك الإجرامي، والتي قد تكون مبنية على جريمته العقلية وسمعته ومظهره والمال الذي دعمته.ورقة عمل قدمت إلى اللجنة الخاصة بالإرهاب -الأمم المتحدة، حيث تم تحديد هذه العوامل على أنها «التهرب من أحكام معينة أو التزامات معينة، والمحبة، والشهرة، أوالدعاية للظهور». أو تجاهل اللوائح والعقوبات الدولية، والجنون، والحصول على مساعدة مادية لفائدة أفراد أو جماعات تكون حياتهم أو ظروفهم المعيشية صعبة.[22]

التهرب من أحكام معينة أو التزامات معينة، والمحبة، والشهرة، أوالدعاية للظهور". أو تجاهل اللوائح والعقوبات الدولية، والجنون

(20) «شريف عبد الحميد حسن ,الإرهـاب الدولي - أسبابه وطرق مكافحته في القانون الدولي والفقه الإسلامي – دراسـة مقارنة ,مجلة كلية الشريعة والقانون بطنطا,جامعة الازهر,2016,ص1147-ص1148.

(21) - «نبيل أحمد حلمي، الإرهـاب الـدولـي وفقًا للسياسة الجنائية الدولية، دار النهضة العربية، القاهرة 1988، ص23.

(22) خضير يـاسـيـن الغانمي , ظـاهـرة الارهـــاب الـدولـي.. الـعـوامـل الـدافـعـه وكيفيه معالجتها,مجلة اهل البيت,العدد» 16,كربلاء,2014,ص308.

«ثانيا: الدوافع المُجتمعية»

وهي دوافع المجتمع الذي يلعب فيه مرتكبو الأعمال الإرهابية دورًا رئيسيًا في دفعه نحو الإرهاب، ويمكن تقسيم هذه الدوافع على::

1-الاسباب والدوافع الاجتماعية:

من اهم العوامل الاجتماعية المؤثرة في الفرد الاسرة أو البيئة الاجتماعية التي يعيش فيها الفرد وهنالك اسباب وعوامل اجتماعية اخرى مؤثرة على أفراد المجتمع لا تقل أهمية عن دور الاسرة كانخفاض مستوى التعليم، واقتصار بعض المؤسسات التعليمية في تقديم خدمات للأثرياء اومعينة من المجتمع، والنقص الحاد في المكتبات العامة والخاصة، ونوعية الكتب التي يتم عرضها لإفراد المجتمع واسلوب الرقابة المفروض عليها، وانخفاض مستوى الدخول وانعدام الخدمات الصحية والحيوية الاخرى كالمياه والطاقة الكهربائية، وعدم الاهتمام بالبنى التحتية فقلة الاهتمام بالعوامل الاجتماعية في المجتمع الحاضن للفرد يولد الاحساس بالظلم والذي ينعكس على افراد المجتمع ليكون فريسة سهلة للجماعات والتنظيمات الارهابية، فيكون الفرد محبطا فاقدا للامل، وخاصة الافراد العاطلين عن العمل، الذين يتولد لديهم شعورا بانهم اشخاص غير منتجين في المجتمع الذي يعيشون به ،وأنهَم غير قادرين على تلبية احتياجاتهم المالية والمادية فيتولد لديه شعور بالكراهية والعداوة والرغبة للانتقام عن طريق الاعمال الارهابية.[23]

(23) سلطان عناد ابراهيم، الالية الدولية لمكافحة الارهـاب، رسالة ماجستير منشورة، جامعة الشرق الاوسط،عمان،2018،ص34.

2-الاسباب والدوافع الاقتصادية:

الفوارق الطبقية والاجتماعية، وحالات الفقر، والفساد المالي والإداري، والدخل المنخفض، والاكتئاب، والبطالة، والتوزيع غير العادل للثروة، والأجور والامتيازات، والتنمية الاقتصادية غير العادلة، ودرجات متفاوتة من المشاريع الحضرية والخدمية التي تجذب الناس من مكان إلى آخر. يعُد من مسببات الإرهاب بلغة الباحثين. ولأن الإرهابيين يعتبرون توافر هذه العوامل والشعور بالظلم الذي تؤدي إليه هذه العوامل، فإن هذه العوامل تعزز الإرهاب، فبعض الناس يربطون جرائم الإرهاب بالنظام الاقتصادي الحالي، مثال على ذلك هو النظام الرأسمالي. لذلك، فإن ظلم النظام وفئاته الاجتماعية، وعدم المساواة بين الأفراد، والتناقضات بين البرجوازية والطبقة العاملة، عندما تتحقق هذه الشروط، سوف تكون بؤر مناسبة لوقوع الجرائم. كثير من الناس في العالم في وضع مختلف لأنهم ضحايا هذه الدول الكبيرة، فهم يستغلون هذه الدول الكبيرة اجتماعياً واقتصادياً وسياسياً ويربطونها بقيود الديون. ومع ازدهار الاقتصاد

ظلم النظام وفئاته الاجتماعية، وعدم المساواة بين الأفراد، والتناقضات بين البرجوازية والطبقة العاملة، عندما تتحقق هذه الشروط، سوف تكون بؤر مناسبة لوقوع الجرائم

والمجتمع، ولو نسبيًا، وفي بعض الدول ازدادت درجة الصراع من جميع النواحي، وخلقت فجوة وفراغًا وبُعدًا بين شعوب العالم، وخسارة للتوازن العالمي. وخلق عالمين، عالم من الازدهار الاقتصادي والتقدم ومستويات الدخل المرتفعة والتقدم الصناعي والعلمي. من ناحية أخرى، تعاني بعض الدول من الفقر والحرمان. والمطلوبات وهذا يؤدي إلى هذه المواقف التي تُسهم في الإرهاب، وتربط الإرهاب بتوافر ظروف معينة تؤثر على سلوك الفرد وتفكيره، ومنها على سبيل المثال الفقر والجهل. نعتقد أنه حتى لو كانت هذه العوامل متعددة، فلا يمكن أن تكون سببًا واحدًا، ولكن يمكن دمجها مع أسباب وعوامل أخرى تروج للإرهاب.[24]

(24) خضر ياسين الغانمي، مصدر سبق ذكره,2014,ص308-ص309.

3- الدوافع الاثنية:

تلجأ بعض الجماعات إلى العنف والإرهاب ضد مجموعة أخرى لديها قوة أقل لطردهم من منازلهم

عندما تسيطر النزعة العرقية على السلطة الحاكمة وتميز ضد شعبها، خاصة إذا كانوا أفرادًا من أعراق مختلفة، تلجأ بعض الجماعات إلى العنف والإرهاب ضد مجموعة أخرى لديها قوة أقل لطردهم من منازلهم. تمامًا مثل ما حدث للصرب في البوسنة والهرسك وكوسوفو، وفي جنوب إفريقيا بسبب التمييز العنصري للحزب الوطني، وصل الحزب الوطني إلى السلطة في عام 1948 ونفذ سياسة التمييز العنصري، والتي بموجبها يجب على الدولة أن تعتمد على قدراتها وخصائصها الخاصة التي تتطور بشكل مستقل في مناطق جغرافية مختلفة؛ وتحاول الأقلية البيضاء الاحتفاظ بالامتيازات التي تسمح لها بالتطور والنمو، مما يؤدي إلى اختلافات كبيرة في الوضع الاقتصادي والاجتماعي والسياسي بين المجموعتين.

4- الدوافع الايديولوجية:

قد يؤدي عدم التسامح مع المبادئ الأيديولوجية أو الدينية إلى لجوء جماعة ما إلى ممارسات عنيفة وإرهابية في محاولة لفرض مبادئ معتقداتها على المجتمع الذي تعيش فيه، وقد تحاول الجماعة كسب القوة لتعزيز انتشار هذه المبادئ. وتطبيقات مثل: الصراعات بين الرأسمالية والاشتراكية، والصراعات بين البروتستانت والكاثوليك لأسباب دينية، والصراعات بين الهندوس والمسلمين في الهند[25].

(25) - جمال نصار,مصدر سبق ذكره،ص5.

يؤدي عدم التسامح مع المبادئ الأيديولوجية أو الدينية إلى لجوء جماعة ما إلى ممارسات عنيفة وإرهابية

وهنالك بعض الدوافع الدينية التي تقف وراء انتشار الإرهاب والعمليات الإرهابية، ومنها[26]:

(26) عبد الرحمن علي , مصدر سبق ذكره.

1. «عدم فهم مقاصد الشريعة الإسلامية والجهل بالدين».

2. «تلقي الخطاب الديني من أفراد غير مختصين، الأمر الذي يؤدي إلى فهم الأمور على غير حقيقتها مما يجعلها دافعاً للإرهاب».

3. «الغلو في الدين والتعصب الديني والطائفي والمذهبي». فضلا عن تبني مجموعات معينة (تسمى أحيانًا الجماعات الأصولية)، فإنها ترفض أيضًا الثقافات والحضارات الأخرى، وتقاوم الاتصالات الثقافية بين الحضارات المختلفة [27].

المطلب الثالث:التنظيمات الارهابية في الشرق الاوسط بعد عام 2011(سوريا, اليمن انموذجا):

اولا: التنظيمات الارهابية في الشرق الاوسط بعد عام 2011(سوريا، اليمن انموذجا):

مثل تنظيم القاعدة وفروعه الإقليمية نموذجا للإرهاب الذي انتشر في بيئة ما بعد الحرب الباردة، المرتبطة بالأوضاع الإقليمية ما بعد الحرب على افغانستان عام 2001م, وما بعد الغزو الأمريكي[*] للعراق عام 2003م.كما أن مناطق الشرق الاوسط شهدت تحولا جذريا منذ الانتفاضات العربية او مايسمى بالربيع العربي عام 2011م[**] وهذا لشهود عدد من الدول انتفاضات منها في مصر أدت إلى سقوط النظام الحاكم لعشرات السنين ومحاولات أخرى في دول المغرب العربي واليمن بسقوط النظام فيها وقيام جماعات إرهابية بالتشويش فيها وكذا تدهور خطير في دول مثل العراق وسوريا .

وكشفت نتائج مؤشر الإرهاب العالمي لمنطقة الشرق الأوسط عام 2019م، الذي يصدره معهد الاقتصاد والسلام، عن قائمة الدول العشر الأكثر تأثراً بالإرهاب، وهي أفغانستان، العراق، نيجيريا، سوريا، باكستان، الصومال، الهند، اليمن، الفلبين، الكونغو الديمقراطية. وقد شمل التقرير لعام 2019م ثلاث دول عربية: هي العراق وسوريا واليمن ضمن الدول العشر الأكثر تأثراً بالإرهاب.ويصنف المؤشر الذي يصدر للسنة السابعة على التوالي 163 دولة، وفقاً للتأثير النسبي للإرهاب، مع الأخذ في الاعتبار عدد الحوادث الإرهابية والوفيات الناجمة عن الإرهاب والقيمة الإجمالية للأضرار التي لحقت بالممتلكات.[28]وفي هذا المطلب سوف نتطرق الى بعض التنظيمات الارهابية في دول مثل سوريا واليمن وتأثير هذه التنظيمات على الامن القوي العربي:

1-الارهاب في اليمن: ظهر تنظيم القاعدة مع عودة كثير من المقاتلين في أفغانستان، مطلع التسعينات من القرن الماضي، وتوزعهم على مختلف دول العالم، وهي الفترة التي ظهر فيها تنظيم القاعدة كتنظيم دولي من خلال الهجمات التي نفذها في أكثر من دولة حول العالم، كتفجير مركز التجارة العالمي في نيويورك في الـ26 شباط/ فبراير عام 1993م، وما تلاها من عمليات إرهابية شهدتها عواصم عدة حول العالم، كمدريد وتونس ونيروبي، والرياض.

وأظهر الحادث الإرهابي في اليمن أن التنظيم كان موجودا في وقت مبكر جدا، لأن

(27) جمال نصار , مصدر سبق ذكره.

(*) قـادت الـولايـات المتحدة الامريكية حملة عسكرية واقتصادية وإعلامية وبمشاركة بعض الدول المتحالفة معها وتهدف هذه الحملة حسب تصريحات رئيس الولايات المتحدة السابق جورج دبليو بوش إلى القضاء على الإرهـاب والدول التي تدعم الإرهـاب. بـدأت هذه الحملة عقب هجمات 11 ايلول/ سبتمبرعام 2001م التي كان لتنظيم القاعدة دور فيها وأصبحت محوراً مركزياً في سياسة الرئيس الأمريكي السابق جـورج دبليو بـوش على الصعيدين الداخلي والعالمي وشكلت هذه الحرب انعطاف وصفها العديد بالخطيرة وغير المسبوقة في التاريخ لكونها حرباً غير واضحة المعالم وتختلف عـن الحروب التقليدية بكونها متعددة الأبعاد والأهداف. في ايار/مايو عام2010م قررت إدارة الرئيس الأميركي باراك أوباما التخلي عن مصطلح الحرب على الإرهـاب والتركيز على ما يوصف بـالإرهاب الداخلي، وذلك في استراتيجيتها الجديدة للأمن القومي. ونصت الوثيقة على أن الولايات المتحدة ليست في حالة حرب عالمية على الإرهاب أو على الإسـلام، بل هي حرب على شبكة محددة هي تنظيم القاعدة والإرهابيين المرتبطين به.ينظر:الحرب على الارهـاب ,ويكيبديا الموسوعة الـحـرة»,2020/2/10عـلـى الموقع الالكتروني: https://ar.wikipedia. /org

(28) احمد عابد,الدول الـ10 الأكثر تأثراً بـالإرهـاب في العالم خلال 2019,صحيفة الامـارات اليوم,15/ يناير/2020ينظر على الرابط التالي : https://www.emaratalyoum. /com

(**) بدأت شـرارة الانتفاضات في تونس وانطلقت الى الدول العربية الاخـرى . وتداخلت عـدة عوامل ايضا في انجاح الثورة في تونس منها: احراق ابو عزيزي لنفسه في سيدي بوزيد وذلـك في 17كانون الأول/ ديسمبر عام 2010م,احتجاجا على مضايقته ومنعه من ممارسة التجارة الموازية على عربة خشبية صغيرة لبيع الخضراوات , ثم امتدت موجات الغضب من المناطق الداخلية في وسط البلاد وجنوبها لتصل الى المدن الساحلية والسياحية مثل سوسا ,

هذا كان أول نشاط إرهابي للقاعدة في 29 كانون الأول / ديسمبر 1992م ، عندما هاجم أعضاء التنظيم فندقا في عدن استهدف البحرية الأمريكية. ، وهذا هو أول هجوم للقاعدة خارج الولايات المتحدة. يتركز أعضاء القاعدة في بعض محافظات اليمن، بما في ذلك أبين وشبوة وراه وداليا.[29]

وفي عام 2009م تاسس تنظيم القاعدة «انصار الشريعة» في جزيرة العرب في اليمن , اذ اعلن عن تشكيله «ناصر الوحيشي «(ابو بصير) يتولى قيادته فضلا عن كل من السعوديين «سعيد الشهيري (ابو سفيان الازدي) نائبا, ومحمد العوفي (ابو الحارث) قائدا ميدانيا للمجموعة , واليمني «قاسم الريمي» قائدا عسكريا , وذلك بهدف اضفاء الطابع الاقليمي للتنظيم الذي يهدف الى تأسيس الخلافة الاسلامية في جزيرة العرب وفي الشرق الاوسط, وتطبيق الشريعة الاسلامية , ويعتمد في تمويله على عمليات السرقة والاختطاف , وبدرجة اقل بعض المنح والمساعدات والتبرعات ممن يشاركونهم نفس الفكر والايدلوجية.[30]

مقاتلو الفرع اليمني لداعش هم أشد المعارضين لتنظيم القاعدة في شبه الجزيرة العربية. ففي 20 آذار / مارس 2015م ، هاجم مقاتلو داعش من الفرع اليمني عدة مساجد أيزيدية في صنعاء ، مما أسفر عن مقتل 170 شخصًا وإصابة المئات. الآخرين. من حيث التمويل، يعتمد مقاتلو داعش في اليمن بشكل أساسي على الدعم الخارجي، أو التهريب من سوريا إلى اليمن عبر وسطاء، أو التهريب عبر الموانئ البحرية إلى الحديدة والمناطق الساحلية. كما أنهم يكسبون المال من خلال المطالبة بالإفراج عن فدية للسجناء الأجانب، ونهب البنوك ومكاتب الصرافة ومحلات المجوهرات، والمشاركة في غسيل الأموال. وبدعم من جامعة الدول العربية وشركائها الدوليين، أعادت الحكومة اليمنية تنظيم قوة مكرسة لمكافحة الإرهاب لتمكين وكالات الاستخبارات من التعاون بشكل فعال في مكافحة الإرهاب. على الرغم من أن الأزمة الحالية في اليمن غالبًا ما تقوض الجهود العسكرية لمكافحة الإرهاب، إلا أن الحكومة اليمنية تعمل جاهدة لإصلاح هذه المؤسسات وتوزيعها في جميع المناطق التي تعمل فيها الحكومة. ظهرت القوات الحكومية في مناطق حضرية كان ينشط فيها تنظيم الدولة الإسلامية، مما أدى إلى طرد الفرع اليمني لداعش. نتيجة لذلك، هرب تنظيم القاعدة في شبه الجزيرة العربية والدولة الإسلامية في اليمن من المدن الكبرى، ليجدوا أنهما غير قادرين حاليًا على شن هجمات وحشية في الماضي. أدى وجود قوات الأمن الحكومية في المناطق الحضرية إلى الحد بشكل كبير من تجنيد وأنشطة تنظيم القاعدة في شبه الجزيرة

أعادت الحكومة اليمنية تنظيم قوة مكرسة لمكافحة الإرهاب لتمكين وكالات الاستخبارات من التعاون بشكل فعال في مكافحة الإرهاب

لتستقر في وسط العاصمة , مركز الثقل السياسي والاقتصادي.وهناك عدة عوامل سياسية واجتماعية واقتصادية ادت الى الثورة ومنها سياسية تتضمن: هيمنة النخبة الحاكمة على مجتمع المال والأعمال في الدولة التونسية, وانهيار شرعية النظام وعدم مقدرته عن ايجاد حلول للمشكلات الاقتصادية والاجتماعية , وتقييد الحريات وضعف القوى الحزبية وعدم مقدرتها على التعبير عن مصالح الشباب وقضاياهم, والحضور المكثف للحزب الحاكم اداريا, وغياب النزاهة في الانتخابات .اما العوامل الاجتماعية:انتشار معدلات البطالة في المجتمع التونسي، الظلم المتزايد والفقر المنتشر في الكثير من المناطق,وغياب العدالة الاجتماعية والفساد الاداري والمالي, وبالإضافة الى العوامل الاقتصادية: ومنها الواقع الاقتصادي المزري لتونس، لاسيما مناطق الوسط والجنوب التي عانت من التهميش والتجاهل وسوء توزيع الثروة بين المناطق واحتكار الاستثمار من الفئة الحاكمة.وفضلا عن عوامل ومتغيرات اقليمية ودولية اخرى ينظر:مجموعة مؤلفين,الربيع العربي ..الى اين؟ آفاق جديدة للتغيير الديمقراطي ,سلسلة كتب المستقبل (63),ط2,مركز دراسات الوحدة العربية, بيروت, ص156 ص160.

(29) «الحوثى والقاعدة وداعش.. مثلث تخريب اليمن,صحيفة اليوم السابع,31/اغسطس ينظر على الرابط التالي2019: .https://www.youm7.com/»

(30) «محمود ضياء الدين عيسى, التنظيمات الإرهابية في الدول العربية .. وإجراءات مواجهتها,مجلة افاق عربية, العدد الاول,2017, القاهرة. ص13».

والدولة الإسلامية في اليمن.[31]

وفي كانون الثاني/يناير سنة 2019م أعلن مقتل قيادي تنظيم القاعدة البارز «جمال البدوي» في اليمن. وتلك التنظيمات الإرهابية عاودت الظهور بكثافة في بعض المناطق الجنوبية منها عدن وحضرموت ولحج التي مثلت تاريخيا معقلا لـ«القاعدة»، ولكن الأوضاع الراهنة في الجنوب اليمني أعطى مجالا أوسع لتلك التنظيمات لتعيد تشكيل نفسها، وتتسلل إلى الأماكن المحررة، وتشن هجمات بقصد زعزعة الاستقرار الذي تحقق في السنوات الماضية.[32]

2-الارهاب في سوريا : من أهم التنظيمات الارهابية الرئيسية التي ظهرت في سوريا بعد عام 2011م والتي كان سببها عدم الاستقرار وزعزعة الأمن لحد يومنا هذا:

أ- فقد تشكلت في عام 2011م «جبهة النصرة» , من العناصر السورية التي سبق عودتها من افغانستان الى العراق مع «ابي مصعب الزرقاوي» , وفي عام 2012م حدث انشقاق داخل الجبهة مما أدى الى انسحاب بعض عناصرها وانضمامها لتنظيم «ابو بكر البغدادي» والبقاء تحت مسمى «داعش», وفي الوقت الذي رفض البعض هذا التوجه , اذ ابدو رغبتهم للبقاء تحت ولاية «جبهة النصرة» الامرالذي دفع الظواهري لإصدار قرار بفصل التنظيمين , وتفكيك تنظيم «داعش», والابقاء على «ابو بكر البغدادي» زعيما لتنظيم «الدولة الاسلامية في العراق «وتحديد ولايته في العراق فقط لمدة عام واحد (وهو مارفضه المذكور) مع تكليف «محمد جولاني» برئاسة الجبهة لمدة عام بحيث تكون ولايتها على سوريا , وتهدف الجبهة الى اسقاط النظام , واقامة دولة اسلامية .[33] الى أنَ الجبهة قامت بتغير اسمها عام 2016م إلى جماعة «فتح الشام»، ثم أعلنت لاحقاً في عام 2017م الاندماج مع حركة «نور الدين الزنكي»، و«لواء الحق»، و«جبهة أنصار الدين»، و«جيش السنة»، ليتم تكوين جماعة إرهابية جديدة تعرف باسم «هيئة تحرير الشام». بيد أن هذه الهيئة قد عانت من ضعف التماسك وتصاعد الانشقاقات التنظيمية. ومن أسباب تغيير «جبهة النصرة» لمسماها، والتي تتمثل في رغبة التنظيم في إزالة نفسه من التصنيف الدولي للمنظمات الإرهابية، وتسهيل انتقال عناصر التنظيم لدول أخرى مثل تركيا في حالة اندلاع معركة إدلب، وهو ما أدى إلى انقسام التنظيم إلى فريقين، أحدهما يعارض تغيير الاسم بزعامة «أبو قتادة الفلسطيني»، والآخر يؤكد على ضرورة التمتع بالمرونة وعدم التمسك بالاسم بقيادة «أبو محمد المقدسي».

تشكلت في عام 2011م "جبهة النصرة" , من العناصر السورية التي سبق عودتها من افغانستان الى العراق مع "ابي مصعب الزرقاوي"

(31) اليمن في سطور ,التحالف الدولي ,2020/3/1ينظر:-http//the /globalcoalation.org

(32) الحوثى والقاعدة وداعـش.. مثلث تخريب اليمن, مصدر سبق ذكره.

(33) محمود ضياء الدين عيسى, مصدر سبق ذكره, ص19.

ب- «تنظيم حراس الدين»: عقب انحسار تنظيم «داعش»، أطلق عدد من القنوات الإعلامية المناصرة لتنظيم «القاعدة»، في نيسان/ أبريل عام 2018م، نداءً لتوحيد جهود الفصائل السورية الموالية لزعيم «القاعدة»، أيمن الظواهري، وعلى رأسها: «هيئة تحرير الشام»، و»تنظيم حراس الدين»، و»جماعة أنصار الإسلام»، و»أنصار التوحيد»، و»أجناد القوقاز»، و»الحزب الإسلامي التركستاني لنصرة أهل الشام». ومع تعثر المفاوضات مع «هيئة تحرير الشام»، اتجه «تنظيم حراس الدين» لاستقطاب العديد من التنظيمات الأخرى مثل: «تنظيم أسود التوحيد»، و»تنظيم أنصار الحق»، و»تنظيم أبناء الشريعة»، كما أنه سعى لاستقطاب الجناح المعارض بـ «هيئة تحرير الشام».

ج- «جيش الفتح»: تشكلت هذه الجماعة في اذار/مـارس عام 2015م عقب الانتصار في معركة وادي الضيف ومعسكر الحامدية، وقد تمكنت من توسيع نفوذها في إدلب.

حركة أحرار الشام": ينحدر معظم أعضاء هذه الجماعة من أصل سوري

د- «حركة أحرار الشام»: ينحدر معظم أعضاء هذه الجماعة من أصل سوري، وتشمل مجموعة من الكتائب مثل: «كتائب أحرار الشام»، و»حركة الفجر»، و»جماعة الطليعة الإسلامية»، و»كتائب الإيمان».

هـ- جماعات تابعة للجيش الحر: تتمثل أهم هذه الفصائل في جماعة «فيلق الشام» التي تتبع بشكل جزئي «الجيش الحر»، كما قاتلت جماعة «صقور الشام» إلى جانبه.

و- «جند الأقصى»: كانت تُعرف سابقاً باسم «سرايا القدس»، وتقاتل كفصيل تابع لـ «جبهة النصرة» إلا أنها انشقت عنها لاحقاً بسبب خلافات حول العداء لتنظيم «داعش»، وتضم هذه الجماعة عدداً كبيراً من الأطفال.

ز- «جيش السُنة»: تم إنشاء هذه الجماعة نتيجة الاندماج بين مجموعة من الجماعات المتمردة التي ينتمي بعضها إلى الجيش السوري الحر، وتمركزت في حمص، وتقوم هذه الجماعة باستقطاب عدد كبير من الأطفال للقتال في صفوفها.[34] فضلا عن جماعات مسلحة ارهابية أخرى .

(34) «مستقبل التنظيمات الإرهابية في الشرق الأوسط (حالة سوريا)،مركز المستقبل للدراسات والابحاث المتقدمة،القاهرة»، 2018ينظرعلى الرابط التالي: https://futureuae.com/

تلجأ التنظيمات الإرهابية التي تمارس الإرهاب لضرب الوحدة الوطنية لدولة ما عن طريق القيام بترويج أفكار متطرفة

ثانيا: تأثير ظاهرة الارهاب على الامن القومي العربي :

تلجأ التنظيمات الإرهابية التي تمارس الإرهاب لضرب الوحدة الوطنية لدولة ما عن طريق القيام بترويج أفكار متطرفة وشائعات تشكك المواطن في دولته وتضعف في نفسه روح الانتماء والمواطنة وانعدام الثقة ،وخلق

جو مشحون بين المواطنين مما يؤدي إلى إشعال وزرع الفتنة بين الطوائف المختلفة في الدولة، وزعزعة الأمن والاستقرار بها، ويصبح المناخ ملائماً لارتكاب أعمال تخريبية ضد المؤسسات الاقتصادية والمنشآت الحيوية، أو تنفيذ عمليات القتل والاغتيال، وربما يؤدي ذلك إلى نشوء حرب طائفية تفتك بالبلد وتقسمه إلى دويلات ، وتسبب الفوضى وعدم الاستقرار في أوساط المجتمع. وكما تُعد الشائعات وترويج الأفكار المتطرفة أهم أساليب ووسائل التنظيمات الإرهابية، لذا فإن انتشار ظاهرة الإرهاب من خلال تلك الوسائل يتسبب في حدوث فوضى عارمة تؤثر على الأوضاع الأمنية داخل الدولة، ومن ثم تهديد حياة وممتلكات الحكومات وقتل الأفراد الابرياء معاً.[35]وهذا ماحدث في أغلب الدول العربية مثل العراق وسوريا ومصر واليمن وغيرها.ويتخذ الإرهاب أيضا اساليب مختلفة للقيام بتحقيق أهدافه بداية من التفجيرات - بمختلف أشكالها، إلى الاغتيالات ، وإلى الاختطاف والذي يطال الأفـراد، والطائرات والسفن وغيرها، وأخيرا الأعمال التخريبية كقطع السكك الحديدية والجسور وغيرها.[36]ويؤدي كل هذا الى زيادة الأعباء التي تتحملها قوى الأمن لمكافحة الإرهاب وتأثيرها السلبي على الخطط الأمنية والمهام المكلفة بها، وزيادة إرهاق القوات الأمنية نتيجة الامتداد الزمني لخطط مكافحة الإرهاب، وزيادة معدلات الجرائم الجنائية، وحالة الانفلات الأمني المصاحبة له، وزيادة أطماع القوى الخارجية لتوسيع مساحة التدخل في الشأن الداخلي في الدول وتغذية القضايا الداخلية ، وتهيئة الأجواء لزيادة إنتشار الجواسيس والعملاء لتوسيع قاعدة إنتشار الجريمة المنظمة لإضعاف المجتمع، وبالتالي تتعرض الدول لضغوط خارجية تمس بسيادة الدولة على أراضيها من إجراءات تحت ذرائع مكافحة الإرهاب والحد من تهديداته.[37]

وأن ممارسة الإرهاب من قبل أفراد ينتمون أو يدعون الانتماء للإسلام قد شَوَّه أيضا صورة الإسلام في نظر المجتمعات الآخرى، وأعطى هؤلاء صورة خاطئة عن الدين الإسلامي

وأن ممارسة الإرهاب من قبل أفراد ينتمون أو يدعون الانتماء للإسلام قد شَوَّه أيضا صورة الإسلام في نظر المجتمعات الآخرى، وأعطى هؤلاء صورة خاطئة عن الدين الإسلامي، والمفاهيم الإسلامية، بأن الإسلام يدعو للعنف ونشر الكراهية، في حين أن الإسلام دين السلام والمحبة والتسامح. وقد كان للممارسات الإرهابية التي وقعت في بلاد الغرب أو في بلاد المسلمين تأثيرات سلبية كبيرة على مصالح المسلمين، والإضرار بمكانة المسلمين في العالم، هذا فضلاً عن الخسائر في الأرواح والممتلكات.[38]وفي هذا المجال تتخذ الدول العربية عدة خطوات للتصدي على ارتكاب الاعمال الارهابية بدافع التعصب والتطرف في جميع

(35) علي بن فايز الشهري، الأثار السياسية والأمنية للإرهاب،المجلة العربية للفقه والقضاء, جامعة الدول العربية،العدد 46، السعودية، ص45.

(36) نفس المصدر السابق،ص43.

(37) خضير ياسين الغانمي ,ظاهرة الارهـاب الدولي-العوامل الدافعة وكيفية معالجتها، مصدر سبق ذكره،ص23.

(38) عبدالله أحـمـد اليوسف ،الإرهاب أضرا ره وعلاجه ،شبكة النبأ ، العدد78، 2005ينظر على الرابط التالي: https://annabaa.or/

المجالات ومنها اليمن ، من خلال التأكيد على احترام الأديان واتباع نهج الوسطية والاعتدال ، وأعداد برامج دينية في وسائل الأعلام لنشر قيم التسامح ونبذ ألتطرف ، وأصدار عدد من الفتاوي من قبل عملاء المسلمين بشان نبذ التطرف والتشدد والارهاب.[39]

الولايات المتحدة الأمريكية من أكثر الدول التي تؤدي دورا محوريا في -انتشار ظاهرة الإرهاب، فهي تأخذ من الحرب على الإرهاب ذريعة

ويمكن القول بأن الولايات المتحدة الأمريكية من أكثر الدول التي تؤدي دورا محوريا في -انتشار ظاهرة الإرهـاب، فهي تأخذ من الحرب على الإرهاب ذريعة لتحقيق أغراض سياسية وعسكرية في منطقة الشرق الأوسط وللتدخل في الشؤون الداخلية لهذه الدول، إلى جانب فرض سيطرتها على آبار النفط في المنطقة.[40]

المطلب الرابع:مستقبل التنظيمات الارهابية في منطقة الشرق الاوسط (سوريا-اليمن انموذجا):

إحـدى أهـم القضايـا فـي ترسـيم معالـم المرحلـة القادمـة بالنسـبة للتنظيمات الارهابية ومنها داعـش تكمـن فـي أن الأسباب والشـروط التـي تقـف وراء انتشـاره وصعـوده مركبـة ومعقـدة ، وتسـاهم السياسـات المحليـة للحكومـات مـع الظـروف الاجتماعية فـي توفيـر التربـة الخصبـة لخطـاب التنظيـم.وثمـة عوامـل متعـددة - وليـس عامـل واحـدًا يقـف وراء الكفـاءة فـي التجنيـد غير المسبوقة علـى صعيـد الجماعـات الإرهابية من ذلـك الاعتماد بصـورة كبيـرة علـى الدعايـة عبـر الأنترنت والروايـة السياسـية التـي تنطلـق مـن الظلم والأزمات الواقعيـة ومشـاعر الغضـب والتهميـش لتؤسـس عليهـا دعـوى للأنضمام إلـى التنظيـم، الـذي أصبـح بمثابـة بحـد ذاتـه رسـالة سياسـية وهـذا هـو أكبـر مصـدر مـن مصـادر القـوة.[41] ومن جهة أخرى، يشير تقرير مؤشر الإرهاب العالمي إلى استمرار تراجع الحوادث المرتبطة بالإرهاب طوال السنوات الأخيرة، اذ انخفض إجمالي عدد قتلى الحوادث الإرهابية بعد أن بلغ ذروته عام 2014. وتوضِّح الأرقام المجمّعة أن العدد الكلي للقتلى انخفض عام 2019م إلى 13,826 قتيلاً؛ أيْ بواقع 15.5%. وسجلت في هذا السياق، منطقة جنوب آسيا أكبر انخفاض، تلتْها منطقة أمريكا الوسطى والكاريبي التي سجّلت أقل تأثير إقليمي للإرهاب خلال السنوات السبع عشرة الماضية، فيما شهدت منطقة الشرق الأوسط وشمال أفريقيا أكبر تحسّن إقليمي من حيث انخفاض النشاط الإرهابي. وبشكل عام، انخفضت الوفيات المرتبطة بالإرهاب في منطقة الشرق الأوسط وشمال أفريقيا بواقع 87% منذ عام 2016م وهي الآن في أدنى مستوياتها منذ عام 2003م .[42]

(39) دراسة حول تشريعات مكافحة الارهـاب في دول الخليج العربي واليمن، وثيقة عمل ، مكتب الامم المتحدة، نيويورك،200،ص13.

(40) علي بن فايز الشهري، مصدر سبق ذكره،ص43.

(41) محمد أبـورمـان مستقبل داعـش: عوامـل القـوة والضعـف ... ديناميكيـات الخلافـة الافتراضية- وفجـوة اسـتراتيجيات مكافحـة الإرهـــاب، مؤسسـة فريدريـش إيبـرت،عمـان،2020, ص11.

(42) ستيفن بلاكويل وكريستيان ألكسندر, اتـجـاهـات الإرهـــاب العالمي: نزوع المتطرفين إلى التكيف والتطور, 3/ 2021/6ينظر على الرابط التالي : https://trendsresearch. org/ar/insigh

ولم تعُد التنظيمات الارهابية ومنها داعش يسيطر على الأراضي وقد تم تحرير ما يقرب من ثمانية ملايين شخص من سيطرته في العراق وسوريا، لكن التهديد ما يزال قائماً. وإن استئناف أنشطة التنظيمات ومنها داعش وقدرته على إعادة بناء شبكاته وقدراته لاستهداف قوات الأمن والمدنيين، يستدعي اليقظة الشديدة والعمل المنسق. ويشمل ذلك تخصيص الموارد الكافية ضد هذه التنظيمات الارهابية ، والدعم الكبير من قبل الدول لتحقيق الاستقرار، وذلك لمعالجة العوامل التي تجعل المجتمعات المحلية عرضة للتجنيد من قبل التنظيمات الارهابية والجماعات الأيديولوجية العنيفة ذات الصلة، ولتقديم الدعم للمناطق المحررة لحماية مصالحه الأمنية الجماعية.والتأكيد على استمرار الضغط على داعش من خلال الحد من قدرته على جمع الإيرادات، وتعزيز تبادل المعلومات عن الإرهابيين من خلال القنوات الثنائية والمتعددة الأطراف مثل الإنتربول، ومكافحة الدعاية والافكار المتطرفة للتنظيمات الارهابية ، ومنع التنظيم من استغلال وسائل التواصل الاجتماعي على الإنترنت ،وفي سوريا يقف التحالف الدولي إلى جانب الشعب السوري في دعم تسوية سياسية دائمة وفقًا لقرار مجلس الأمن التابع للأمم المتحدة رقم 2254. ويستمر التحالف الدولي في دعمه لتحقيق الاستقرار المحلي الشامل في المناطق التي حررت من التنظيمات الارهابية وجهود المصالحة وإعادة الاندماج لتعزيز الظروف المؤدية إلى حل سياسي للنزاع يشمل كامل الأراضي السورية وفقاً لمحددات قرار مجلس الأمن التابع للأمم المتحدة رقم 2254.[43]

ولم تعُد التنظيمات الارهابية ومنها داعش يسيطر على الأراضي وقد تم تحرير ما يقرب من ثمانية ملايين شخص من سيطرته في العراق وسوريا

وأن مقتل زعماء التنظيم من قبل الولايات المتحدة الامريكية في شبه الجزيرة العربية، من شأنه أن يقلل من قوة التنظيم لدى العناصر المتطرفة، ومن ثم إضعاف قدرته على تجنيد المزيد من المتطرفين حول العالم. وهو أمر سوف يعزز من ضعف التنظيم وانقساماته الداخلية، ولاسيما مع تراجع الحاضنة الشعبية للتنظيم لدى بعض القبائل اليمنية، وبالنظر إلى ما ارتكب من أعمال عنف وقمع بحق السكان في المناطق التي سيطر عليها في الفترة ما بين 2011م-2017م. والذي سيؤثر سلبا على مستقبل التنظيم وصورته وقدرته على الحفاظ على تماسكه. أما القضاء على التنظيم نهائياً فإنه يتطلب توافر بعض الشروط والمتطلبات الضرورية، لعل أهمها: وضع حد للصراع العسكري الدائر في اليمن، والذي يستفيد منه التنظيم في تكثيف تواجده وتمدده في الأراضي اليمنية. ومواصلة الجهود الإقليمية والدولية التي بذلت في السنوات الأخيرة لمواجهة

وأن مقتل زعماء التنظيم من قبل الولايات المتحدة الامريكية في شبه الجزيرة العربية، من شأنه أن يقلل من قوة التنظيم لدى العناصر المتطرفة

(43) الاجتماع الـوزاري للتحالف الدولي لهزيمة داعش - بيان مشترك ،28/ 6/ 2021 ينظر على الرابط التالي : https://www.diplomatie.gouv. /fr

التنظيم بذات الزخم والقوة، ولاسيما من قبل قوات التحالف العربي والولايات المتحدة والقوات اليمنية المحلية، والبناء على ما تحقق من نجاحات كبيرة في هذا الصدد؛ لأن تراجع جهود مكافحة التنظيم ستعطيه الفرصة لإعادة بناء نفسه وقدراته من جديد، وهو ما سيشكل خطراً على اليمن والمنطقة والعالم.[44]

(44) فتوح هيكل، الحرب المستمرة على تنظيم القاعدة في اليمن،3/24/2020ينظر على الرابط التالي: https://trendsresearch.org/ar/

المرحلة المقبلة تتطلب تعزيز الامن القومي العربي والعمل المشترك من اجل مكافحة الارهاب، والحفاظ على الأمن القومي العربي

وأن المرحلة المقبلة تتطلب تعزيز الامن القومي العربي والعمل المشترك من اجل مكافحة الارهاب، والحفاظ على الأمن القومي العربي ومنع التدخلات الخارجية والتنسيق العربي المشترك بين البلدان العربية من اجل التصدي لتمويل الجماعات الإرهابية وجمع المعلومات عن المجموعات الإرهابية المسلحة ، وكذلك القضاء على الخطاب الديني المتشدد وايضا التنسيق العربي علي صعيد الجانب الأمني والعسكري بات في غاية الاهمية من اجل وضع حد لممارسة الارهاب والتصدي للتجمعات الارهابية والسعي لتعزيز التعاون في مجال مكافحة الإرهاب وتحقيق الأمن القومي المشترك والحرص على مواجهة الإرهاب والتطبيع.[45]

(45) سري القدوة، الرياض والامن القومي العربي، الحوار المتمدن، العدد5545،86، 2017/8/6ينظرعلى الرابط التالي: https://www.ahewar.org/

الخاتمة والاستنتاجات:

ظلت منطقة الشرق الأوسط وشمال أفريقيا طوال السنوات الماضية من المناطق الأكثر تأثرًا بالإرهاب مقارنة بمناطق أخرى في العالم سواء من حيث إجمالى العمليات الإرهابية التي وقعت فيها أو من حيث عدد القتلى الذين خلفتهم تلك العمليات، وكانت التنظيمات الإرهابية الأكثر نشاطًا في المنطقة خلال تلك الفترة هى: تنظيم داعش والكيانات الموالية له، وتنظيم القاعدة، وتنظيم جبهة النصرة (هيئة أحرار الشام)، وبعض الكيانات التابعة لجماعة الإخوان.

والواقع أنَ جميع تحركات وعمليات داعش أنتجت أوضاعا صبت في مصلحة دول مثل الولايات المتحدة والكيان الصهيوني ومخططاتهما لتدمير جيوش دول المنطقة وخلق الدول الفاشلة وتقسيمها مما يضمن إستقرارا وأمنا طويلا للكيان الصهيوني وتمكين الشركات الغربية متعددة الجنسية من التحكم وبشكل مطلق في ثروات المنطقة وخاصة النفطية منها.

ولاتزال محاربة الإرهاب أولوية وجزءًا مهمًا من المعركة التي تشنها منطقة الشرق الاوسط ضد هذه التنظيمات، ومنذ سنوات عديدة حارب اليمن تنظيم «الدولة الإسلامية في اليمن» الإرهابي والقاعدة وأنشطتهما في شبه الجزيرة العربية، من خلال المواجهة المباشرة والاستخبارات والوسائل الثقافية والاجتماعية والتعاون مع الشركاء.وأن تبادل المعلومات والتعاون لمكافحة خطر الإرهاب سيظل مهمين

للغاية للحيلولة بسرعة وفعالية على منع أي هجمات إرهابية محتملة ضد المصالح الوطنية أو الإقليمية أو الدولية.

وإن الطبيعة الدولية للإرهاب تتطلب حشد جهود جميع الدول لمواجهته والقضاء عليه. كما أن الهجوم الإرهابي الذي تتعرض له سوريا اليوم جعل من الضروري التكاتف لمواجهة هذا الإرهاب والقيام بدورها وواجبها الدستوري في الدفاع عن الوطن. ومن خلال الاستطلاع الدقيق وجمع المعلومات عن المجموعات الإرهابية المسلحة، والتوصل إلى معرفة مرجعياتها ومصادر تمويلها وتسليحها وحماية الحدود. ورصد أماكن تواجد العصابات الإرهابية والقوى المساندة لها وخطوط دعمها واتجاهات تحركها وتقدير حجمها وإمكانياتها.فاذا ما دام الارهاب أصبح دولياً وشاملاً فلذلك تقع على كل دول العالم مسؤولية مكافحته ومحاربته بكل الوسائل والطرائق الممكنة والتي ينبغي أنْ تحقق النجاحات بأقل الخسائر البشرية والمادية للقضاء عليه جذرياً وخلق عالم خال من الارهاب والجريمة.

ما دام الارهاب أصبح دولياً وشاملاً فلذلك تقع على كل دول العالم مسؤولية مكافحته ومحاربته بكل الوسائل والطرائق الممكنة

الاستنتاجات:

1. ان مفهوم الإرهاب يستعمل بمضامين وتعاريف مختلفة، فكل طرف سواء كان نظاما سياسيا أو فاعلا اجتماعيا، أو باحثا أو مثقفا له معنى ومدلول خاص به، ومهما بذلنا من جهود في عملية التحديد، فإن مضامينه تظل مسألة خلافية.
2. ان مصطلح الشرق الأوسط بعد نهاية الحرب الباردة ظل مصطلحا غامضا،فمن الناحية الجغرافية ليس له حدود واضحة،فتارة يضم دولا عربية و تارة أخرى يخرجها خارج إطار هذا المفهوم خصوصا دول المغرب العربي.
3. ان منطقة الشرق الاوسط من اهم المناطق المؤثرة في توازن القوى والمصالح في العالم ويتقاطع موقعها الوسيط بين قارات العالم القديم اسيا واوربا وافريقيا وتماسكها جغرافيا, ومن ثم تحكمها في اهم الممرات الدولية مثل (قناة السويس , مضيق باب المندب , جبل طارق البسفور, الدردنيل وتحتضن البحر الاحمر), وتشرف على جنوب شرق البحر المتوسط والبحر الاحمر , وتطل على المحيط الاطلسي والمحيط الهندي , وهو ماجعل منها منطقة ذات أهمية شديدة في العلاقات الدولية , وذات تأثير كبير في تضارب المصالح الدولية.
4. تختلف أسباب ودوافع الارهاب باختلاف نوع العمل وممن صدر (فرد أو جماعة أو دولة)؛ وتأتي هذه الأسباب والدوافع متعددة ومختلفة، ويمكن تقسيم هذه الدوافع والأسباب إلى: دوافع شخصية والتي تدفع الإرهابي إلى ارتكاب

جريمته لتحقيق هدف شخصي، وهذه الدوافع :هي دوافع نفسية، وسياسية، وإعلامية.، ودوافع واسباب مجتمعية مثل اسباب اقتصادية واجتماعية ودوافع اثنية ودوافع ايدلوجية ، وبالإضافة الى بعض الدوافع الدينية التي تقف وراء انتشار الإرهاب والعمليات الإرهابية مثل عدم فهم مقاصد الشريعة الإسلامية والغلو في الدين وبالإضافة الى اسباب اخرى.

5. ان مناطق الشرق الاوسط شهدت تحولا جذريا منذ الانتفاضات العربية او مايسمى بالربيع العربي عام 2011م وهذا لشهود دول انتفاضات عديدة , مثلا في مصر أدت إلى سقوط النظام الحاكم ، ومحاولات أخرى في دول المغرب العربي واليمن بسقوط النظام فيها وقيام جماعات إرهابية بالتشويش فيها والذي سبب تدهور خطير وعدم استقرار في دول مثل العراق وسوريا.
6. ان ظاهرة الارهاب تهدف إلى زعزعة أمن واستقرار الدول والعمل على تهديد مواطنيها ومؤسساتها وأجهزتها الأمنية، وكما تُعد الشائعات وترويج الأفكار المتطرفة أهم أساليب ووسائل التنظيمات الإرهابية، لذا فإن انتشار ظاهرة الإرهاب من خلال تلك الوسائل يتسبب في حدوث فوضى عارمة تؤثر على الأوضاع الأمنية داخل الدولة، ومن ثم تهديد حياة وممتلكات الحكومات وقتل الأفراد الابرياء معاً.
7. أن المرحلة المقبلة تتطلب تعزيز الأمن القومي العربي والعمل المشترك من اجل مكافحة الارهاب، والحفاظ على الأمن القومي العربي ومنع التدخلات الخارجية والتنسيق العربي المشترك بين البلدان العربية من اجل التصدي لتمويل الجماعات الإرهابية، وكذلك القضاء على الخطاب الديني المتشدد.

قائمة المصادر:

اولا :الكتب:

1. إسماعيل صبري مقلد ، الاستراتيجية والسياسية الدولية ، والمفاهيم والحقائق الأساسية ، ط 2 ،مؤسسة الابحاث العربية ، بيروت ، 1985 .
2. حميد السعيدي ,مقدمة في القانون الدولي الجنائي,ط1,مطبعة المعارف ,بغداد,1971.
3. حسن عثمان علي ، الإرهاب الدولي ومظاهره القانونية والسياسية في ضوء أحكام القانون الدولي العام،ط1, مطبعة مناره، أربيل، 2006.
4. عبد الحميد العيد الموساوي,التحالفات الاستراتيجية في جنوب غرب اسيا,ط1,دار الكتب العلمية للطباعة والنشر والتوزيع، العراق،2013.
5. هيثم عبد السلام محمد,مفهوم الارهـاب في الشريعة الاسـلامـيـة,ط1,دار اكتب العلمية,بيروت ,2008.
6. نبيل أحمد حلمي، الإرهاب الدولي وفقًا للسياسة الجنائية الدولية، دار النهضة العربية،

القاهرة 1988.
7. محمد أبورمان مستقبل داعش: عوامل القوة والضعف ... ديناميكيات الخلافة الافتراضية- وفجوة استراتيجيات مكافحة الإرهاب، مؤسسة فريدريش إيبرت،عمان،2020.
8. ممدوح محمود مصطفى, الصراع الامريكي –السوفيتي في الشرق الاوسط,, القاهرة , مكتبة مدبولي, 1995.
9. يحيى احمد الكعكي : الشرق الأوسط وصراع العولمة . دار النهضة العربية. بيروت ٢٠٠٢.

ثانيا :المجلات والبحوث:

1- كريم مزعل شبي, مفهوم الارهاب (درسة في القانون الدولي والداخلي),مجلة اهل البيت ع,العدد2,,كربلاء,2005.
2- توفيق فارس العودات,الارهاب والقانون الدولي,مجلة دراسات الدولية,العدد18,مركز الدراسات الدولية,بغداد,2002.
3- خضير ياسين الغانمي,ظاهرة الارهاب الدولي-العوامل الدافعة وكيفية معالجتها,مجلةجامعة اهل البيت, العدد16,كربلاء,2014.
4- جمال نصار,ظاهرة الارهاب:محدداته وتناقضاته,مركز الجزيرة للدراسات والبحوث,2015/4/15.
5- دراسة حول تشريعات مكافحة الارهاب في دول الخليج العربي واليمن، وثيقة عمل ، مكتب الامم المتحدة، نيويورك،2000.
6- شريف عبد الحميد حسن ,الإرهاب الدولي - أسبابه وطرق مكافحته في القانون الدولي والفقه الإسلامي – دراسة مقارنة ,مجلة كلية الشريعة والقانون بطنطا,جامعة الازهر,2016.
7- صدام حرير حمد,الصراع الدولي والاقليمي في الشرق الاوسط واثره على المنطقة العربية (انموذج ثورات الربيع العربي), العدد11, مجلة تكريت للعلوم السياسية,تكريت ,2017 .
8- على بن فايز الشهري، الأثار السياسية والأمنية للإرهاب،المجلة العربية للفقه والقضاء, جامعة الدول العربية،العدد 46، السعودية.
9- محمود ضياء الدين عيسى, التنظيمات الإرهابية في الدول العربية .. وإجراءات مواجهتها,مجلة افاق عربية, العدد الاول , القاهر ة،2017.

ثالثا:الرسائل والاطاريح:

1- حسن عزيزالحلو, الارهاب في القانون الدولي, رسالة ماجستير غير منشورة,الاكاديمية العربية المفتوحة, الدنمارك, 2007.
2- سلطان عناد ابراهيم,الالية الدولية لمكافحة الارهاب, رسالة ماحستير منشورة,جامعة الشرق الاوسط,عمان,2018.
3- عبد الرزاق ابو زيدي,التنافس الامريكي –الروسي في مطقة الشرق الاوسط(دراسة حالة

الازمة السورية 2010-2014),رسالة ماجستير منشورة,جامعة محمد الخضر,الجزائر,2014.

4- محمود العفيفي , مشروع الشرق الاوسط الكبير واثره على النظام الاقليمي , رسالة ماجستير منشورة, جامعة الازهر, غزة,2012.

رابعا:المواقع الالكترونية:

1. احمد عابد,الدول الـ10 الأكثر تأثراً بالإرهاب في العالم خلال 2019,صحيفة الامارات اليوم,15/يناير/2020ينظر : https://www.emaratalyoum.com/
2. جمال نصار,ظاهرة الارهاب :محدداته وحقيقته المواجهة والتناقضات الدولية,مركز الجزيرة للدراسات,2015/4/2, ص4ينظر: https://studies.aljazeera.net/
3. ستيفن بلاكويل وكريستيان ألكسندر, اتجاهات الإرهاب العالمي: نزوع المتطرفين إلى التكيف والتطور, 3/ 2021/6ينظر على الرابط التالي : https://trendsresearch.org/ ar/insigh
4. سري القدوة، الرياض والامــن القومي العربي،الحوار المتمدن، العدد5545، 2017/8/6،على الرابط التالي: https://www.ahewar.org/
5. فتوح هيكل، الحرب المستمرة على تنظيم القاعدة في اليمن،3/24 /2020ينظر على الرابط التالي: https://trendsresearch.org/ar/
6. عامر الدايني, الإرهاب في اليمن بين المصالح والدوافع والحضور الدولي (دراسة خاصة),2017/7ينظر: https://almawqeapost.net/reports/16316
7. عبد الرحمن علي غنيم, دوافع الارهاب الدولي, الحوار المتمدن,العدد6310 , 8 / 4 / 2019 ينظر: الدوليhttp://www.ahewar.org/
8. عبدالله أحمد اليوسف ،الإرهاب أضرا ره وعلاجه ،شبكة النبأ ، العدد78، 2005ينظر على الرابط التالي: https://annabaa.or
9. الحوثى والقاعدة وداعش.. مثلث تخريب اليمن,صحيفة اليوم السابع,31/اغسطس 2019: https://www.youm7.com/
10. -10اليمن في سطور,التحالف الدولي ,2020/3/1ينظر على الرابط التالي: https:// //theglobalcoalition.org
11. -11الاجتماع الوزاري للتحالف الدولي لهزيمة داعش - بيان مشترك ،28/ 6/ 2021 ينظر على الرابط التالي : https://www.diplomatie.gouv.fr/
12. مستقبل التنظيمات الإرهابية في الشرق الأوسط (حالة سوريا),مركز المستقبل للدراسات والابحاث المتقدمة,القاهرة, 2018ينظر على الرابط التالي: https://futureuae.com/

المصادر الاجنبية:

1-Wilkinsan p. three question terrorisme in coverment and opposi-tian val .8 na londan 1973 p.292.

واقع الديمقراطية التوافقية في مملكة بلجيكا الدروس المستفادة

***م.د. حيدر عبد جساس**

باحث من العراق

*الجامعة المستنصرية/ كلية العلوم السياسية

Jassas123Alame@gmail.com

ملخص :

إنَّ واقع تبني مفهوم الديمقراطية التوافقية الذي يدور حوله نقاش واسع يشير إلى إنَّ هناك مشكلة اجتماعية وثقافية او دينية ومذهبية، ويتم تبني هذا النوع من الديمقراطية لمعالجة هذه المشكلة سياسياً من خلال تقاسم السلطة بين الجهات أو الاطراف الاجتماعية المختلفة، وقد ساعدت البنى الاجتماعية والثقافية لاسِّيما الاختلاف اللغوي في بلجيكا إلى تبني الديمقراطية التوافقية للحفاظ على وحدة الدولة، فالعامل الاجتماعي المتمثل بالاختلاف اللغوي كان من أهم العوامل للدفع باتجاه تبني النهج التوافقي، وقد انعكس الاختلاف الاجتماعي على الواقع الدستوري والسياسي والذي أدى إلى قيام وترسيخ التوافقية البلجيكية، ففي الجانب الدستوري اعتمد النظام الفيدرالي كسمة من سمات الحكم التوافقي وكان للدستور اثر مباشر في تثبيت الحكم التوافقي فضلاً عن الفيدرالية لا سيما فيما يتعلق بتشكيلة الحكومة التي تقسم بين الناطقين بالهولندية والفرنسية والهدف هو توزيع السلطة بين المكونين الرئيسيين، اما الجانب السياسي كان للأحزاب السياسية دور مهم في الذهاب نحو التوافقية في الحكم بعدما تحولت الاحزاب من المستوى الوطني إلى المستوى الاقليمي، وبهذا يكون الواقع الاجتماعي والدستوري والسياسي مهيئ للأخذ بالنهج التوافقي الذي كان له دور في تبني سياسات أسهمت في نوع من الاستقرار النسبي.

كلمات مفتاحية :الديمقراطية التوافقية، التعددية في بلجيكا، التعدد اللغوي.

The reality of consensual democracy in the Kingdom of Belgium, lessons learned

MD Haider Abed Jassas

researcher from Iraq

Al-Mustansiriya University/College of Political Science

ABSTRACT

The reality of adopting the concept of consensual democracy, around which a wide discussion is taking place, indicates that there is a social, cultural or religious and sectarian problems, this type of democracy is adopted to address this problem politically through power-sharing between different social parties, social and cultural backgrounds structures have helped, especially. The linguistic difference in Belgium led to the adoption of consociational democracy to maintain the unity of the state. The social difference was reflected in the constitutional and political reality, which led to the establishment and consolidation of Belgian consociationalism. On the constitutional side, the federal system was adopted as a feature of consensual governance. The constitution had a direct impact on the consolidation of consensual rule in addition to federalism, especially with regard to the government formation that is divided between Dutch and French community speakers which at distribute the power between the two main components. As for the political aspect, the political parties had an important role in going towards consociationalism in governance after the parties shifted from the local level to the regional level. Thus, the social, constitutional and political reality is ripe for adopting the consensual approach that had a role in adopting policies which contributed to a kind of relative stability.

KEYWORDS: consociational democracy, pluralism in Belgium, multilingualism.

المقدمة

من الصعب بيان نمط موحد للديمقراطية في ظل تباين ظروف وطبيعة المجتمعات التعددية، ولكن مهما اختلفت النظم الديمقراطية من مجتمع إلى آخر بتغيير اساليبها وادواتها، تبقى للديمقراطية مبادئها الاساسية الثابتة القائمة على أساس حكم الاكثرية، وهذا ما يقول به النمط الليبرالي الغربي في الأخذ بالديمقراطية التنافسية، لكن هناك من يعتقد إنَّ اعمام فكرة الأكثرية العددية على سائر المجتمعات أمر غير ممكن؛ لأنها لا تصلح سوى في المجتمعات المتجانسة شعبياً، أما في المجتمعات التعددية فترى من الأنسب اعتماد القاعدة التوافقية، وهذا ما تم اعتماده في مملكة بلجيكا.

إنَّ أول تطبيق للديمقراطية التوافقية(*) كان في بلدان اوروبا الغربية، وهذا التطبيق لم يستند إلى نظرية بقدر ما كان هو وليد الحاجة في مجتمعات متعددة

(*) لا يمكن تقسيم الديمقراطية إلى توافقية وغير توافقية فالديمقراطية واحدة غير قابلة للتقسيم، لكن ما يراد من الديمقراطية التوافقية هي آلية تقسيم السلطة بين المكونات المتعددة في الدولة بشكل يحقق التوازن بين حجم هذه المكّونات في ممارسة السلطة داخل مؤسسات الدولة.

وغير منسجمة، فتم تطبيقها في بلجيكا كون المجتمع كان منقسماً بشكلٍ واضح من الناحية القومية واللغوية، وهذا الانقسام كان له انعكاسه الكبير علىٰ الواقع الجغرافي أيضاً، لذا كانت اولى خطوات الذهاب نحو الحكم التوافقي هو الأخذ بالفيدرالية لضمان الحقوق السياسية للقوميات والحد من تركيز السلطة، أي تم تقسيم السلطة على أساس جغرافي، وهنا يجب الاشارة إلى إنَّ بلجيكا تُعد من الدول التي طبقت التجربة التوافقية وفق عناصرها الأساسية الأربعة وليس فقط عبر النظام الفيدرالي، فقد أخذت بـ(حكومة الائتلاف الواسع، ومبدأ التمثيل النسبي في مؤسسات الدولة، وحق الفيتو المتبادل، وأخيراً الادارة الذاتية لشؤون الجماعات الخاصة-الفيدرالية-)، وهذه هي سمات ما يعرف بالديمقراطية التوافقية، ومن هنا تنبع **أهمية البحث** التي تتلخص في نقطتين:

إنَّ أول تطبيق للديمقراطية التوافقية كان في بلدان اوروبا الغربية، وهذا التطبيق لم يستند إلى نظرية بقدر ما كان هو وليد الحاجة في مجتمعات متعددة وغير منسجمة

1. معرفة الاسباب التي أدت إلى الأخذ بالنهج التوافقي في بلجيكا من خلال التعرف على طبيعة التعددية الاجتماعية والثقافية، وواقع المؤسسات السياسية والدستورية.
2. معرفة كيفية التعامل مع التعددية المعقدة وادارتها، والإسهام في تقديم ايضاحات حول الديمقراطية التوافقية بعد عام 1993.

المشكلة البحثية: برزت التعددية اللغوية في بلجيكا بشكلٍ ملحوظ، وهذا الواقع الاجتماعي انعكس بوضوح على الواقع السياسي من خلالً توزيع السلطة بشكلٍ توافقي بين المجتمعات اللغوية، وهو ما عرف بنهج الديمقراطية التوافقية، وهناً يصبح السؤال الرئيسي للبحث الذي يسعى للإجابة عليه هو: هل الديمقراطية التوافقية هي الحل لإنهاء النزاعات في المجتمعات ذات التعددية الاجتماعية، وبناء دولة مستقرة.

ومن هذا السؤال الرئيسي نسعى إلى معرفة الآتي:

أولاً: معرفة العوامل الاجتماعية والسياسية والدستورية المساعدة على قيام التوافقية في بلجيكا.

ثانياً: إلى أي مدى أسهمت التوافقية في تحقيق الاستقرار السياسي وقوة النظام السياسي.

ثالثاً: هل الديمقراطية التوافقية طريقة ناجحة لأدارة المجتمع المتعدد في بلجيكا.

فرضية البحث: لم تنشأ التوافقية في بلجيكا بمعزل عن الظواهر الاجتماعية والسياسية، فسبب قيامها هو من أجل تخفيف حدة الصراعات السياسية بين المجتمعات اللغوية المختلفة، والحفاظ على وحدة الأرض المهددة للتقسيم.

منهجية البحث: اعتمدنا في هذا البحث على المنهج المؤسسي ليس فقط في اطاره الدستوري والقانوني بل في اطار تفاعل المؤسسات مع البيئة الاجتماعية التي تعمل فيها، كما تم الاعتماد على المنهج التحليلي.

هيكلية البحث: انتظم البحث الموسوم بـ(واقع الديمقراطية التوافقية في مملكة بلجيكا) في مبحثين فضلاً عن مقدمة وخاتمة، جاء المبحث الأول تحت عنوان (التعددية الاجتماعية والثقافية في بلجيكا)، أما المبحث الثاني فجاء تحت عنوان (العوامل السياسية والدستورية المؤدية لقيام الديمقراطية التوافقية).

المبحث الأول

واقع التعددية في بلجيكا

تُعد مملكة بلجيكا مثالاً واضحاً للتعددية الاجتماعية والثقافية المعقدة التي أصبح خيار التوافقية هو أحد الحلول للحفاظ على وحدة الدولة، وأحد أهم الاسباب لهذه التعددية هو إنَّ بلجيكا تاريخيا كانت ضمن دائرة الصراع والحروب بين الدول الاوروبية، فقد تم غزوها من قبل القوى الأوروبية المختلفة وقد ترك ذلك أثره الواضح في التركيبة الاجتماعية لاسيما اللغوية، ففي عام 1795 قامت فرنسا باحتلال بلجيكا وضمها اليها خلال الحرب النابليونية، وبعد هزيمة الفرنسيين في معركة واترلو بالقرب من العاصمة البلجيكية بروكسل، تم احتلال بلجيكا من قبل هولندا واصبحت جزءاً منها، كما تم غزو مملكة بلجيكا مرتين من قبل الألمان في القرن العشرين، هذا الواقع قد خلف تنوعاً لغوياً وصراعاً ثقافياً انعكس بشكل مباشر على الوضع السياسي للبلاد، إذ اصبحت بلجيكا مقسمة جغرافياً على أساس لغوي، فمجتمع الفلا ندرز الناطقين بالهولندية يتواجدون في الشمال، ووالونيا الناطقة بالفرنسية في الجنوب، مع جماعة صغيرة ناطقة باللغة الألمانية في والونيا الشرقية، هذه التعددية اللغوية تزامنت مع وجود تعددية دينية وثقافية مما تطلب إلى ايجاد نهج معين لاستيعاب هذه التعددية والاختلافات داخل المجتمع البلجيكي، ولمعرفة تفاصيل وطبيعة التعددية الاجتماعية في بلجيكا سنقسم هذا المبحث على مطلبين، نتناول في المطلب الأول: التعددية الاجتماعية واللغوية، وفي المطلب الثاني: التعددية الثقافية والدينية.

تُعد مملكة بلجيكا مثالاً واضحاً للتعددية الاجتماعية والثقافية المعقدة التي أصبح خيار التوافقية هو أحد الحلول للحفاظ على وحدة الدولة

المطلب الأول: التعددية الاجتماعية واللغوية

تبلغ المساحة الكلية لمملكة بلجيكا (30,280) كيلو متر مربع، اما عدد سكانها حسب آخر بيانات الأمم المتحدة لعام 2021 فقد بلغ (11,638,188) نسمة، وقد بلغت نسبة الناطقين بالهولندية (58%) بعدد (7,2) مليون نسمة، ونسبة الناطقين بالفرنسية بلغت (41%) بعدد (3,5) مليون نسمة، اما نسبة الناطقين بالألمانية فقد بلغت (1%) بعدد (1,1) مليون نسمة[1].

إذاً تشكل نسبة البلجيكيين الناطقين بالغة الهولندية هي الأكبر، كما يشغلون معظم المساحة الكلية لبلجيكا، وعلى اساس ذلك وزعت بلجيكا على ثلاث اقاليم (الاقليم الفلمنكي واقليم والون واقليم العاصمة بروكسل) وثلاث مجتمعات هي

(1) https://www.worldometers.info/world-population/belgium-population

(المجتمع الفلمنكي والمجتمع الفرنسي والمجتمع الناطق بالالمانية).

في سنة 1831 كانت الفرنسية لغة النخبة وكانت الفلمنكية = (الهولندية) لغة الفلاحين ، وينص دستور عام 1831 على أن اللغة الفرنسية هي اللغة الرسمية الوحيدة وقد بقيت اللغة الفرنسية اللغة الرسمية الوحيدة حتى نهاية القرن التاسع عشر، ولكن مع توسيع حق التصويت (1893، 1921) والعمل بالتمثيل النسبي في الانتخابات البرلمانية (1899) ازداد النفوذ السياسي للجمهور الفلمنكي وأصبحت الفلمنكية = (الهولندية) اللغة الرسمية في عام 1970 أما الألمانية فقد أصبحت هي الاخرى لغة رسمية في عام 1970[2].

(2) مارك فان دير هولست: بناء الدولة العراقية الواحدة-الخيارات الفيدرالية والتعامل مع التنوع، عمان، 2006.

لقد أصبح التعدد اللغوي في بلجيكا جزءاً لا يتجزأ من النسيج الثقافي، ففي اوروبا خصص يوم 26 ايلول اطلق عليه اليوم الاوربي للغات، وهو يوم يهدف إلى تعزيز التنوع اللغوي في اوروبا وتشجيع الاوربيين على تعلم لغات مختلفة، والهدف من ذلك هو محاولة لانسجام المجتمعات الاوربية واستقرارها، ففي بلجيكا التي تعاني من اشكالية التعددية اللغوي هناك تأكيد على أهمية المهارات اللغوية في جميع انحاء نظام التعليم، إذ يتعلم الاطفال لغة رسمية ثانية في المدرسة الابتدائية، ولغة ثالثة في الثانوية، في محاولة لتقليل حدة الصراعات السياسية والمحافظة على وحدة البلاد[3].

أصبح التعدد اللغوي في بلجيكا جزءاً لا يتجزأ من النسيج الثقافي، ففي اوروبا خصص يوم 26 ايلول اطلق عليه اليوم الاوربي للغات

(3) AMCHAM BELGIUM: be/blog/multilingualism-belgium.

ووفقاً لمسح Eurobarometer لعام 2021 يستعمل 38% من البلجيكيين لغة ثانية أو ثالثة، ويمكن لـ27% التحدث بثلاث لغات أو أكثر، ويعتقد 88% من البلجيكيين إنً تحسين المهارات اللغوية يجب أن تكون اولوية سياسية[4].

(4) ibid.

وفي البلدان متعددة اللغات مثل بلجيكا، غالباً ما تكشف علاقة المجتمعات العرقية اللغوية عن وضعهم كأغلبية أو أقلية، والانشغال في الدفاع عن لغتهم وثقافتهم، كما تشعر الاقليات بأنها مهددة بشكل دائم من خلال الاستيعاب والانصهار، لذا غالباً ما تنجذب إلى الخطابات التي تُشيد بمزايا أي شكل من أشكال الحمائية، سواء كانت سياسية أم اجتماعية أم اقتصادية، وهذا بحد ذاته يؤدي إلى إنً يكون سبباً في اضعاف المجتمع والدولة، لذا كان الذهاب نحو التجانس اللغوي حسب المناطق ناجحاً ويؤدي إلى الاستقرار النسبي، وكذلك في المؤسسات، وهذا ما حصل في بلجيكا من اعتماد التوافق السياسي في ادارة مؤسسات الدولة للحفاظ على التعدد اللغوي ومواجهة خطر التأثير على وحدة الدولة وتقليل النزعات الانفصالية[5].

(5) Philippe Hambye, Pluri-linguisme et minorisation en Belgique: d'étranges rapports aux langues, Langage et société, 2009/3, n. 129, p. 29.

فمنذ انتهاء الحرب العالمية الثانية والمملكة البلجيكية تعاني شدة الخلاف السياسي المستمر بسبب الانقسام اللغوية بين سكان الجنوب (الوالون) الناطقين بالفرنسية، وبين سكان الشمال (الفلامنك) السكان الاصليين الناطقين بالهولندية، ورغم إنً الاخير يشكلون نسبة (58%) من السكان إلا إنًهم كانوا مضطهدين لأن السلطة كانت في الغالب بيد الوالون، لذا نشأت حركة قومية رافضة للواقع السياسي مما ولد خلافات سياسية بينهم اشتدت عام (1950) حول قضية عزل

الملك (ليوبولد) او الابقاء عليه بسبب تعاونه مع الاحتلال الالماني اثناء الحرب العالمية الثانية، وقد اجري استفتاء شعبي بهذا الخصوص، وحاز الملك على تأييد الفلامانك وهم الاغلبية على بقائه، مقابل رفض الوالون له، لكن الملك لم يجرأ على الاعتراف بهذا الفارق مما اضطره إلى التنازل عن العرش وسلمه إلى خلفه (بودوان)، ولعل اهم سبب في تنازله هو سيطرة الوالون على مفاصل الدولة[6].

(6) فراس عبدالكريم محمد علي: النظام السياسي لدول البينلوكس – دراسة تحليلية-، رسالة ماجستير، جامعة بغداد، كلية العلوم السياسية، 2008، ص8.

ومنذ هذه الحادثة اشتد الخلاف بين الحركة القومية الفلامانية الناطقة بالهولندية التي مثلت اليمين، وبين الوالون الذين مثلوا اليسار الناطقين بالفرنسية، مما دعى الفلامان إلى المطالبة بالحكم الذاتي، وتفادياً للانقسام والانفصال تم اتخاذ خطوات تشريعية اولية باتجاه اللامركزية الادارية، وبموجب قانون عام (1963) تم تقسيم البلاد على اربع اقسام لغوية: وهم كل من اقليم الفلامان الناطقين بالهولندية، واقليم الوالون الناطقين بالفرنسية، واقليم الجرمان الصغير الناطق بالالمانية، واقليم العاصمة (بروكسل) ثنائي اللغة بين الهولندية والفرنسية، ورغم الاصلاحات الدستورية والتشريعية المتكررة في عام (1970 - 1973 -1977-1980) لم تفلح في تخفيف التوتر بين الفلامان والوالون، بسبب قناعة الفلامان ابعادهم عن القرار السياسي وسيطرة الوالون على مفاصل الدولة المهمة، مما ولد اعمال عنف في الشارع البلجيكي أثرت على وحدة واستقرار البلاد حتى صدور دستور عام (1993) والنافذ حالياً والذي تحولت فيه بلجيكا من نظام اللامركزية الادارية، إلى نظام اللامركزية السياسية (الفيدرالية)[7].

اشتد الخلاف بين الحركة القومية الفلامانية الناطقة بالهولندية التي مثلت اليمين، وبين الوالون الذين مثلوا اليسار الناطقين بالفرنسية

(7) المصدر نفسه، ص9.

رسخ دستور عام (1993) النهج التوافقي على المستوى الجغرافي والسياسي عبر الفيدرالية، إذ جعل من الفيدرالية احد الحلول للحفاظ على وحدة الدولة من التقسيم، فقد أشار الدستور إلى إنَّ بلجيكا دولة فيدرالية تتكون من مجتمعات واقاليم[8]، كما أشار إلى إنَّ بلجيكا تتكون من ثلاث جاليات (الجالية الفرنسية-الجالية الفلامندية-الجالية الجرمانية)[9]، كما وزع بلجيكا إلى ثلاث اقاليم هي (الاقليم الوالوني والاقليم الفلامندي واقليم بروكسل)[10]، وفيما يتعلق بالتقسيم اللغوي اشار الدستور إلى إنَّ بلجيكا تتكون من أربعة أقاليم لغوية؛ إقليم اللغة الفرنسية، وإقليم اللغة الهولندية، وإقليم بروكسل العاصمة الثنائي اللغة، وإقليم اللغة الألمانية، إذ إنَّ كل وحدة إدارية تُعد (مقاطعة انتخابية) من المملكة وهي جزء من هذه الأقاليم اللغوية، ولا يمكن تغيير أو تعديل حدود الأقاليم اللغوية الأربعة إلا بقانون يتم تبّنيه بأغلبية الأصوات لكل إقليم لغوي في كل مجلس، على أن تجتمع أغلبية أعضاء كل مجموعة من اللحظة التي يساوي فيها مجموع الأصوات الإيجابية المعطاة من قبل الإقليمين اللغويين لثلثي الأصوات المعبر عنها على الأقل[11].

(8) انظر: المادة (1) من الدستور البلجيكي النافذ لعام 1993.

(9) المادة (2) من الدستور البلجيكي النافذ لعام 1993.

(10) المادة (3) من الدستور البلجيكي النافذ لعام 1993.

بتوزيع السلطة بين المجموعات اللغوية في مؤسسات الدولة الرسمية أشار الدستور بشكلٍ صريح إلى النهج التوافقي

(11) المادة (4) من الدستور البلجيكي النافذ لعام 1993.

اما فيما يتعلق بتوزيع السلطة بين المجموعات اللغوية في مؤسسات الدولة

الرسمية أشار الدستور بشكلٍ صريح إلى النهج التوافقي، إذ نص على إنً يتكون مجلس الوزراء من خمسة عشر عضوا في الحد الأقصى، وإنً يتضمن مجلس الوزراء، باستثناء رئيس الوزراء، أعضاء من الناطقين باللغة الفرنسية مساوين في عددهم للأعضاء الناطقين باللغة الهولندية[12]، هذا على المستوى الاتحادي، أما على مستوى الوحدات المكونة للاتحاد فقد أشار إلى وجود حكومة للتجمع الفرنسي وحكومة للتجمع الفلامندي، ويحدد تكوينهما ووظائفهما بقانون يتم تبنيه بأغلبية الأصوات كما هنالك حكومة للتجمع الألماني، يحدد القانون تكوينها ووظائفها[13]، وكذلك الحال مع انتخاب اعضاء البرلمان وتحديداً مجلس الشيوخ المكون عدد اعضائه من (71) عضواً يتم انتخابهم وفق النسب العددية لكل من الناطقين بالهولندية والفرنسية والالمانية[14].

(12) الـمـادة (99) من الدستور البلجيكي النافذ لعام 1993.

(13) المادة (121) من الدستور البلجيكي النافذ لعام 1993.

(14) انظر: المادة (67) من الدستور البلجيكي النافذ لعام 1993.

وبذلك يتضح لنا من خلال ما تم ذكره ان واقع التعددية اللغوية في بلجيكا قد رسخت في الدستور الصادر لعام 1993 الذي اخذ بالنظام الفيدرالي، وتم توزيع السلطة بين الناطقين بالهولندية والفرنسية على اساس توافقي، ليبين واقع الديمقراطية التوافقية في بلجيكا.

المطلب الثاني: التعددية الثقافية والدينية

إنً ظهور اشبه بالثنائية القطبية في بلجيكا هو النتيجة المنطقية للاختلاف اللغوي، فضلاً عن ذلك كان العامل الثقافي والديني بين الفلاندر والوالون له دوره المؤثر، فالفلاندر على وجه الخصوص تشعر إنً قوميتها البلجيكية تتعرض للضغط من الآخر وتوصف هويتها بدون الوطنية، لهذا كان أثر الكنيسة واضحاً في أدبيات الفلاندر، وإنً كان تأثيرها تضاءل مؤخراً لاسًيما في السلوك الانتخابي، بالمقابل الوالون أكثر قلقاً بشأن التهديد الاقتصادي والاجتماعي في المناطق المختلطة[15].

إنّ طبيعة الثقافة البلجيكية بشكلٍ عام هي انعكاس للتعدد والانقسام اللغوي، فالثقافة البلجيكية لم تستطع تجاوز تأثير الفاعل اللغوي لاسيما في القضايا السياسية

وهنا يجب أن نشير إلى إنً طبيعة الثقافة البلجيكية بشكلٍ عام هي انعكاس للتعدد والانقسام اللغوي، فالثقافة البلجيكية لم تستطع تجاوز تأثير الفاعل اللغوي لاسيما في القضايا السياسية، هذا الواقع أدى إلى انقسام الأحزاب السياسية على اسس لغوية، بحيث أصبحت هذه الأحزاب ترتب ملفاتها الانتخابية على مستوى الاقاليم والمجتمعات المختلفة لغوياً، وبذلك أصبح صنع السياسة البلجيكية قائماً على أساس المناطقية اللغوية اقليمياً، وتوافقياً على مستوى الاتحاد ككل، لذلك اصبح اتخاذ القرار التوافقي أكثر وضوحاً ليس في داخل الحزب فقط، بل بسبب جماهير الحزب والثقافة التي دفعت إنً تكون الأحزاب السياسية اقليمية أكثر منها وطنية، وهذا ما انعكس على نوع الحكومات الاتحادية المشكلة التي كانت حكومات ائتلافية توافقية مرتبطة أيديولوجيا بنوع الثقافة من كلا المجموعتين اللغويتين[16].

(15) Jaak Billiet,Bart madbens and Andre-paul Frognier: differences in political culture between Flemings and Walloons, west European politics, vol29,No5,2006,p.912.

(16) ibid.915.

والسؤال الذي نرى ضرورة طرحه هنا حول المجتمع التعددي في بلجيكا هو: هل

القومية تؤدي إلى المركزية العرقية؟ ام إنَّ المركزية العرقية تؤدي إلى القومية؟ او ما إذا كان كلا التأثيرين يعملان في وقت واحد وفي علاقة سببية متبادلة؟

هنا نرى إنَّ التعامل مع المجموعاتً القومية داخل الدولة على قدم المساواة، اي عدم وجود تمييز على أساس العرق أو الأصل القومي واللغوي عادةً يؤدي إلى إنَّ يعم الاستقرار النظام؛ لأن المساواة المدنية شرطاً مهماً للمشاركة الناجحة والتي عادةً يتم ضمانها من الديمقراطية التمثيلية، وعندها يمكن للمجموعات القومية إنَّ تشترك في شعور الانتماء الوطني.

اما في حالة عدم تلبية هذه الشروط حيث تهيمن مجموعة قومية واحدة على الحياة السياسية والاقتصادية مع استبعاد المجموعات القومية الاخرى كما حصل في فترة سابقة في بلجيكا عندما كان الوالون الناطقين باللغة الفرنسية هم المهيمنين على السلطة، هنا يمكن إنَّ ينفجر الاستياء القومي والعرقي، اذ يمكن إنَّ تولد النزعة القومية والعرقية عواطف خطيرة تنتهي بالمطالبة بالاستقلال عن الدولة كما حصل عندما كان الفلاندر الناطقين بالهولندية مهمشين سياسياً، فقد كانت الاخيرة تعتقد إنَّ لها حقاً سياسياً مسلوب رغم إنَّها تشكل الاغلبية من سكان بلجيكا، وهذا الواقع قد يؤدي إلى التطرف وعندها يسود عدم الاستقرار على جميع المستويات السياسية والاقتصادية والاجتماعية.

هذا الواقع ولد ثقافة سياسية ضيقة (فرعية) كان لها أثر كبير على النظام السياسي البلجيكي بوجه خاص، وعلى الحياة السياسية بوجه عام، هذه الثقافة ناتجة عن تمييز افراد المجتمع على أساس الدين أو العرق والوضع الاقتصادي والاجتماعي والسياسي على العكس من الثقافة الشاملة[17]، وهذا الواقع انعكس على الحياة السياسية من تأثيره بالأحزاب السياسية التي اثرت بشكلٍ مباشر على نوع الحكومات المشكلة التي اصبحت بطبيعة الحال توافقية، وانسحب ذلك على باقي مؤسسات الدولة، فالأحزاب التقليدية الثلاث على المستوى الوطني (الحزب الديمقراطي، الحزب الليبرالي، الحزب الاشتراكي)، هذه الأحزاب الوطنية لم تكن قادرة على الوقوف في وجه التوترات اللغوية المتزايدة، وعلى ما يبدو إنَّ انهيار هذه الأحزاب بشكلٍ مفاجئ كونها كانت تأخذ بعين الاعتبار في بناء هياكلها الداخلية الاختلافات الثقافية بين الشمال البلجيكي الناطقين بالهولندية، وبين الجنوب الناطق بالفرنسية، لذا حلّت الأحزاب الاقليمية محل الأحزاب الوطنية، والأحزاب الجديدة المشكلة جميعها أصبحت أحزاباً اقليمية، وهنا يجب الاشارة إلى إنَّ التوترات بين المتحدثين بلغتين مختلفتين ليست التوترات الوحيدة التي اثرت على الحياة السياسية البلجيكية، فهناك ثلاث انقسامات مهمة في المجتمع، الأول: هو الانقسام الديني (الكنيسة مقابل الدولة)، والثاني: هو الانقسام الاجتماعي والاقتصادي (العمل مقابل رأس المال)، والثالث وهو الأهم: الانقسام العرقي اللغوي، فالانقسام الاخير أصبح بارزاً في الثقافة السياسية للمجتمع

الأحزاب الوطنية لم تكن قادرة على الوقوف في وجه التوترات اللغوية المتزايدة

(17) للمزيد ينظر: عبدالله محمد عبدالرحمن: علم الاجتماع السياسي(النشأة التطورية الحديثة والمعاصرة)، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، 2001،ص437.

والنخبة السياسية مما انعكس بشدة على الواقع السياسي الذي تمثل بنشوء نوع من الديمقراطية اضيفت لها صفة التوافقية[18].

وفيما يتعلق بالتركيبة والتعددية الدينية اشار الدستور البلجيكي لعام (1993) إلى حرية الاعتقاد الديني، إذ نص على إنّه لا يجوز اكراه الأفراد على المشاركة بأي طريقة كانت في الشعائر الدينية، أو الالتزام بالعطل الدينية للمجموعات المختلفة دينياً[19]، كما حدد الدستور اختصاصات الكنيسة إذ لا يحق للدولة إنً تتدخل في ترشيح او تعيين الكهنة لأي دين كان كما لا يحق لها ان تمنع هؤلاء الكهنة من التراسل مع مرؤوسيهم او نشر تعاليمهم[20].

وبموجب احصاءات عام 2005 توزعت التركيبة الدينية في مملكة بلجيكا على النحو الآتي: (75%) مسيحيين كاثوليك، و(15%) مسيحيين بروتستانت، ونحو (3,5%) مسلمين، والباقي اديان اخرى مختلفة، أي إنً المسيحية في بلجيكا هي الديانة السائدة والمهيمنة، ولطالما الكاثوليكية هي دين الأغلبية في بلجيكا كانت ذات حضور تاريخي قـويّ بشكل خاص في فلاندرز، فبحسب احصائية يوروبارومیتر لعام 2018 يشكل المسيحيون حوالي 62.8% من مجمل السكان، وتأتي الكنيسة الرومانية الكاثوليكية في مقدمة الطوائف المسيحية إذ يشكل أتباعها حوالي 57.1% من مجمل السكان، يليهم أتباع الطوائف المسيحية الأخرى مع حوالي 2.8% من السكان، وتعترف بلجيكا رسميًا بثلاث ديانات: المسيحية (الكاثوليكية والبروتستانتية والكنائس الأرثوذكسية والأنجليكانية) والإسلام واليهودية، وبسبب العامل الديني تعرض نظام الحكم والوحدة الوطنية في بلجيكا إلى حالة من عدم الاستقرار الشديد عام (1960) عندما أرادت الحكومة ابعاد الكنيسة البلجيكية الكاثوليكية عن الاشراف على نظام التعليم فيها، فهدد الفلامنك الكاثوليك وهم الاكثرية بالثورة والانفصال عن الوالون[21]، مما أدى إلى تراجع الحكومة عن هذا الاجراء.

إنّ التعددية اللغوية والثقافية والدينية في بلجيكا وإنّ كانت نسبة الأخيرة اقل، كانت لها الاثر الواضح في واقع التوافقية البلجيكية لاسّيما التعددية اللغوية

وهنا يجب الاشارة إلى إنً المذهب الكاثوليكي الذي تصل نسبته إلى (75%) متبع من قبل الجماعة الاثنية لكل من الفلامنك والوالون وبنسب مختلفة، وينسحب التقاسم بين الجماعات الاثنية على المذهب البروتستانتي ايضاً، فالجماعة الاثنية الفلامنكية التي تتحدث اللغة الهولندية قسم منهم يتبع المذهب البروتستانتي وإنً كانت نسبتهم قليلة، والعكس كذلك مع الجماعة الاثنية للوالون.

مما تقدم يتضح لنا إنً التعددية اللغوية والثقافية والدينية في بلجيكا وإنً كانت نسبة الأخيرة اقل، كانت لها الاثر الواضح في واقع التوافقية البلجيكية لاسّيما التعددية اللغوية، لكن تبقى هناك عوامل دستورية وسياسية أسهمت بشكلٍ مباشر وغير مباشر في ترسيخ الواقع التوافقي في مملكة بلجيكا سنتناولها في المبحثين الثاني والثالث.

(18) Kris DESCHOUWER, Ethnic Structure, Inequality and Governance of the Public Sector in Belgium, Part of UNRISD Project on Ethnic Structure, United Nations Research Institute for Social Development (UNRISD), 2004, p. 11.

(19) انظر: المادة (20) من الدستور البلجيكي النافذ لعام 1993.

(20) انظر: المادة (21) من الدستور البلجيكي النافذ لعام 1993.

(21) فراس عبدالكريم محمد علي: مصدر سبق ذكره، ص10.

المبحث الثاني

الفيدرالية والبنية التوافقية في بلجيكا

يرى ارنت ليبهارت في كتابه (الديمقراطية التوافقية في مجتمع متعدد)، صعوبة تحقيق الحكم الديمقراطي المستقر في مجتمع متعدد، فالتجانس الاجتماعي والاجماع السياسي بمثابة شرطين مسبقين للديمقراطية المستقرة، فالانقسامات الاجتماعية والاختلافات السياسية داخل المجتمعات التعددية تؤدي إلى عدم الاستقرار السياسي ولاسّيما الحكومي، وربما الانهيار في تلك الديمقراطيات، لذا اقترح ليبهارات تضمين الدستور قواعد الديمقراطية التوافقية لمعالجة مشكلة عدم الاستقرار في المجتمعات التعددية، والتي تقوم على عدة أركان منها ما يعرف (بالاستقلال القطاعي) ويقصد به تبني النظام الفيدرالي الذي يقوم على أساس توزيع السلطة بين القطاعات المختلفة اجتماعياً، وكذلك (النسبية) كركن آخر يتم على أساسه توزيع وظائف الجهاز الحكومي والموارد المالية على مختلف قطاعات المجتمع عن طريق التوافق[22]، وبذلك يكون الدستور من العوامل المباشرة في قيام الديمقراطية التوافقية، وهذا ما أخذ به الدستور البلجيكي لعام 1993 الذي تحولت فيه الدولة من اللامركزية الادارية إلى دولة فيدرالية، ولمعرفة طبيعة الفيدرالية البلجيكية وأثرها على الواقع التوافقي سنقسم هذا المبحث على مطلبين: نتناول في المطلب الأول: أسباب نشأة الفيدرالية البلجيكية وطبيعتها، وفي المطلب الثاني: سنتطرق إلى أثر الفيدرالية في قيام التوافقية.

تبني النظام الفيدرالي الذي يقوم على أساس توزيع السلطة بين القطاعات المختلفة اجتماعياً

(22) ارنت ليبهارت: الديمقراطية التوافقية في مجتمع متعدد، ترجمة: حسني زينة، معهد الدراسات الاستراتيجية، بيروت، 2006،ص11.

المطلب الأول: اسباب نشأة وطبيعة الفيدرالية البلجيكية

تأسست بلجيكا في عام 1830 كملكية دستورية وحدوية، إلا إنّها مرّت بأربع مراحل من تفويض السلطة عبر اللامركزية الادارية في الاعوام (1988،1980،1970) حتى وصلت إلى ذروتها في شكل اتحاد فيدرالي بشكل رسمي بموجب دستور عام 1993، وقد كانت أحد الاسباب الرئيسية الدافعة لمسار تفويض السلطات ضمن الاطار الفيدرالي هو الاستقطاب السياسي للمجموعتين اللغويتين الرئيسيتين من البلجيكيين، وهم كل من المتحدثين بالهولندية (58%) والمتحدثين بالفرنسية (41%) اما المتحدثين بالالمانية فنسبتهم (1%) من السكان[23]، فقد ازداد التركيز على طابع السياسة ثنائي القطبية مما ينعم به الاقليم الفلمنكي من رخاء اقتصادي يزيد عن غيره من الاقاليم، واستياء الاغلبية المتحدثة بالهولندية من الهيمنة السياسية للمتحدثين بالفرنسية وسيطرتهم على السلطة في الدولة البلجيكية الوحدوية.

(23) رونالد ل. واتس: الانظمة الفيدرالية، ترجمة: غالي برهومة وآخرون، منتدى الاتحادات الفيدرالية، كندا، 2006، ص39.

كما إنّ من أهم أسباب وأهداف قيام الفيدرالية البلجيكية هو الحفاظ على وحدة الدولة من التقسيم من خلال حماية هوية المجموعات اللغوية البلجيكية الثلاث عن طريق منحها درجة كبيرة من اللامركزية السياسية والثقافية والاقتصادية، فقد قسمت بلجيكا وفق النظام الفيدرالي إلى أربعة أقاليم لغوية(إقليم اللغة الفرنسية، إقليم اللغة الهولندية، إقليم بروكسل العاصمة الثنائي اللغة، وإقليم اللغة الألمانية)،

وكل وحدة إدارية (مقاطعة انتخابية) من المملكة هي جزء من هذه الأقاليم اللغوية، إذ لا يمكن تغيير أو تعديل حدود الأقاليم اللغوية الأربعة إلا بقانون يتم تبّنيه بأغلبية الأصوات لكل إقليم لغوي في كل مجلس، على أن تجتمع أغلبية أعضاء كل مجموعة من اللحظة التي يساوي فيها مجموع الأصوات الإيجابية المعطاة من الإقليمين اللغويين لثلثي الأصوات المعبر عنها على الأقل[24]، وقد أشار في هذا السياق أحد رؤساء وزراء بلجيكا (غاي فير هوفستات) بالقول (إنَّ السعي الدائم للموازنة الصائبة بين الوحدة والتنوع قد احدث تغييرات سياسية كبيرة في هياكل الحكم انعكست بالإيجاب على الاستقرار السياسي وقلل من التوترات الحاصلة بين مكونات المجتمع البلجيكي، وحافظ على وحدة البلاد من التقسيم، بحيث اثبت النظام الفيدرالي جدواه)[25].

إنَّ السعي الدائم للموازنة الصائبة بين الوحدة والتنوع قد احدث تغييرات سياسية كبيرة في هياكل الحكم انعكست بالإيجاب على الاستقرار السياسي

(24) المادة (4) من الدستور البلجيكي النافذ لعام 1993.

(25) نقلاً عن: فراس عبدالكريم محمد علي، مصدر سبق ذكره، ص49.

مع ذلك هناك عاملان رئيسيان يعملان ضد تقسيم وانفصال بلجيكا رغم المشاكل اللغوية والمناطقية:

الاول: الاشكالية الكبيرة في العاصمة بروكسل، ليس كونها العاصمة بل لأنها مدينة ثنائية اللغة (على الرغم من إنَّ الغالبية يتحدثون اللغة الفرنسية)، فضلاً عن ذلك تستضيف العاصمة بروكسل العديد من المنظمات الدولية منها (الاتحاد الأوروبي) التي ترغب في مناطق مستقرة سياسياً.

الثاني: يتعلق بالدين العام المرتفع للدولة (130% من الناتج المحلي الاجمالي في عام 1995، 84% في عام 2007، 97% في عام 2009)، هذه الديون لابدَّ من تقاسمها بين البلجيكيين المتحدثين بالهولندية والفرنسية إذا تفكك البلد، وهذا الأمر ليس بالهين[26].

(26) DESCHOUWER, Kris, « La dynamique fédérale en Belgique », in FOURNIER, Bernard et REUCHAMPS, Min (eds). Le fédéralisme en Belgique et au Canada. Comparaison socio-politique. Bruxelles. De Boeck, 2009, pp 67:

(27) lbid,p72.

مع ذلك بلجيكا هي مثال رئيسي لطبيعة الفيدرالية غير التماثلية، فهناك عدم تطابق بين المستوى الاقليمي والمجتمعي، فالعاصمة بروكسل منطقة وليست مجتمع، والمتحدثون الالمان تم الاعتراف بهم كمجتمع وليس كمنطقة، وعلى الرغم من إنَّ الناطقين بالألمانية أصغر بكثير من المجتمع الفلمنكي إلا إنَّهم يشتركان في سلطات مماثلة في السياسات التعليمية والثقافية[27].

تمكنت عملية تفويض السلطة في الفيدرالية البلجيكية من احتواء التوترات الحادة بين المجموعات اللغوية الناطقة بالهولندية والفرنسية

وتتصف طبيعة الفيدرالية البلجيكية بعناصر قوة كما تتصف بعناصر ضعف[28]:

وتتمثل عناصر القوة بما يلي:

1. تمكنت عملية تفويض السلطة في الفيدرالية البلجيكية من احتواء التوترات الحادة بين المجموعات اللغوية الناطقة بالهولندية والفرنسية، فقد شهدت سنوات ما بعد اقرار الفيدرالية في دستور عام 1993 استقرار نسبي وقد بان ذلك في تراجع التظاهرات على نطاق واسع والتي كانت مرتفعة في ظل نظام اللامركزية الادارية، ولعل أحد أهم الاسباب هو قيام قادة الأحزاب الفلمنكية

(28) wilfried swenden:Belgian federalism, Robinson college, Cambridge,UK,2003,p14

من يمين الوسط بنقل اجزاء معينة من سياسة الضمان الاجتماعي إلى المناطق، وتفويض بعض الصلاحيات المتعلقة بالجانب الثقافي كالتعليم إلى الاقاليم.

2. استطاعت الفيدرالية البلجيكية تقليل الخلافات بين الطائفتين في سياق موحد من تقديم مبالغ مالية مماثلة لكل من المجتمعات اللغوية بغض النظر عن تقييم الحاجة الموضوعية لهذه المنح، هذه الآلية وإنً كانت غير مبررة لكنها أدت إلى نوع من الاستقرار النسبي.

إنّ الفيدرالية البلجيكية تتألف من ثلاث مناطق وثلاث مجتمعات، إلا إنّ واقع السياسة البلجيكية قائمة على الثنائية القطبية بين الوالون والفلامنك

3. بغض النظر عن تفويض السلطات للأقاليم والمجتمعات، كان السكان البلجيكيون عموماً أكثر استعداداً للتماهي مع بلجيكا، فلو خير المواطن بالتعبير عن ولائه لمنطقته بشكلٍ حصري أو مع الدولة البلجيكية، أو بالتساوي مع كليهمًا، تم ملاحظة إنً المواطنين الراغبين في تحويل هويتهم الفرعية إلى الهوية الوطنية قد زادت في الوقت الحاضر أكثر من آبائهم واجدادهم، وهذا يؤشر نجاح وحسن ادارة الدولة ضمن نظام الفيدرالية.

أما عناصر ضعف الفيدرالية البلجيكية فتتمثل بما يلي:

1. على الرغم من إنً الفيدرالية البلجيكية تتألف من ثلاث مناطق وثلاث مجتمعات، إلا إنً واقع السياسة البلجيكية قائمة على الثنائية القطبية بين الوالون والفلامنك، فالناطقين بالألمانية مجتمع صغير جداً يمثل (7000) نسمة، بحيث لم يكن له أي تأثير في صنع السياسات الاتحادية، فالثنائية القطبية لا تتعلق فقط بالنظام الحزبي، بل يتم التعبير عنها في مجالين منفصلين([29]).

(29) Jaak Billiet: op cit, p913

2. غياب أو ضعف اتخاذ القرارات السياسية للسلطة الاتحادية في الفيدرالية البلجيكية، فتقرير اتخاذ القرار النهائي يتركز بيد الأقاليم.
3. عدم توزيع تكاليف العملية الفيدرالية في بلجيكا بالتساوي بين المستوى الاتحادي ومستوى الاقاليم، اذ تتعرض الحكومة الاتحادية لضغوط اقليمية كبيرة للإبقاء على امتيازاتها، وصلاحياتها تحت سيطرة الحكومات الاقليمية.
4. وصفت الفيدرالية البلجيكية بأنها فيدرالية الاحزاب السياسية، على اعتبار إنًها تدار من (النظام الحزبي الثنائي)، والذي يكون له اليد العليا في ترشيح الاشخاص للمناصب العليا في الدولة، لاسيما تشكيل المحكمة الدستورية الاتحادية التي لابد إنً تتألف من عدد مساو من القضاة الناطقين بالهولندية والفرنسية وقاضٍ واحد ألماني، إذ يتم تعيين القضاة من قبل مجلس النواب ومجلس الشيوخ الاتحادي([30]).

أن الاساس الدستوري لنشأة وعمل طبيعة الفيدرالية البلجيكية اخذت بنظر الاعتبار الواقع الاجتماعي التعددي

(30) wilfried swenden: op cit,p15.

ومما تقدم نجد أن الاساس الدستوري لنشأة وعمل طبيعة الفيدرالية البلجيكية اخذت بنظر الاعتبار الواقع الاجتماعي التعددي لاسّيما من الناحية اللغوية، والذي كان له الأثر الواضح في بناء ما يمكن تسميته بالفيدرالية التوافقية وهذا ما سنتطرق اليه في المطلب التالي.

المطلب الثاني: أثر النظام الفيدرالي في تنظيم التوافقية البلجيكية

تُعد الفيدرالية من العوامل الدستورية المهمة التي أدت إلى ترسيخ التوافقية البلجيكية، إذ تعتبر من أهم سمات الحكم التوافقي وكان لها الأثر المباشر في تثبيت واستقرار الديمقراطية التوافقية، بالمقابل كانت البيئة الاجتماعية التعددية في بلجيكا قد حتمت الأخذ بالنظام الفيدرالي لتنفيذ الحكم التوافقي بشكلٍ قانوني عبر الفيدرالية، إذاً كانت عملية التأثير متبادلة.

إذ دفع التقليد التوافقي في بلجيكا نحو انشاء نوعين من الكيانات الفيدرالية، وهناك تداخل بينهما لكن بشكلٍ متساو، وربما الذي يحافظ على كيان الدولة متحد هو التوافق أكثر من الفيدرالية، فالأخيرة في بلجيكا محدودة للغاية وغير كاملة لاسّيما فيما يتعلق بالقرارات المتخذة[31].

(31) caroline van wynsberghe: The Belgian Example, weaknesses of the federal formula as implemented in Belgium,catholic university of Louvain,p22.

صوّرتْ عالمة السياسة الهولندية (ارندت ليبهارت) بشكلٍ جيد البنية التوافقية للمجتمع البلجيكي، ووفقاً لها فإنَّ التوافقيةً في بلجيكا هي نظام سياسي قائم على تقاسم السلطة نتيجةً للانقسام المجتمعي، فمبدأ التوافقية يهدف إلى تقاسم السلطة وتشتيتها والحد منها في يد طرف واحد، مع استقلالية شديدة للمجموعات المختلفة، لكنهم يضطرون للعمل بشكلٍ تعاوني لسببين[32].

التوافقية تشارك في المبادئ الاساسية للفيدرالية و إنَّ كانت مطبقة في دول غير فيدرالية مثل (هولندا ولبنان)

(32) lbid,p8.

الأول: عدم تمكن أي شريحة للحصول على الاغلبية البرلمانية المطلقة لتشكيل الحكومة بمفردها.

الثاني: القرارات التي تشمل المجتمع البلجيكي بأسره، فعلى الرغم من امتلاك الأقلية حق النقض (الفيتو)، لكنها لابد أن تأخذ بنظر الاعتبار تطلعات الأغلبية، ومن ثم فأن التوافقية تشارك في المبادئ الاساسية للفيدرالية و إنَّ كانت مطبقة في دول غير فيدرالية مثل (هولندا ولبنان)، لاسّيما إنَّ تأسيس التوافقية البلجيكية لم يكن على أساس لغوي فقط، بل ايضاً على اساس توجها المجتمع البلجيكي، فمثلاً الجماعة الفرنسية لا تتمتع بأي حال من الأحوال بأي صلاحيات تؤثر على مواطن فرانكفوني في فلاندرز والعكس صحيح، والتوترات الحالية تنبع من هذا التحديد، فالفرنكفوني في فلاندرز يريد تنظيم تدريس اللغة الفرنسية في مناطق معينة، بينما هناك اعتراض من المتحدثين بالهولندية على هذه التسهيلات التي يعتبرونها مؤقتة، في حين الناطقين بالفرنسية يريدونها دائمة.

هذه الرؤية المزدوجة للفيدرالية توضح سلطات صنع القرار ضمن المجتمع المنقسم في بلجيكا الذي يفقد الكثير من القواسم المشتركة، إذ لا يوجد مركز سياسي حقيقي للقرار في السياسة البلجيكية، إذ تتم ادارة السياسة الفيدرالية من الأحزاب الإقليمية، والتي تؤدي دوراً على المستوى الاقليمي بشكلٍ مؤثر أكثر من دورها على المستوى الفيدرالي، حتى أصبحت صنع السياسات الفيدرالية تأخذ بعين الاعتبار الحساسيات المختلفة للأطراف في كلا الجانبين من البلاد، وتتم عن

طريق الاتفاق بين الطرفين، حتى أصبحت السياسات الفيدرالية شبيهة إلى حدٍ كبير بالسياسات بين الأقاليم التي تديرها الأحزاب الإقليمية[33].

إذاً تم افراغ المستوى الفيدرالي بسبب النهج التوافقي الذي ثبت دستورياً، ومنح صلاحيات واسعة للمجتمعات اللغوية والاقاليم، وهذه كانت نتيجة واضحة لنظام الحزب الاقليمي المزدوج، وعدم وجود احزاب وطنية تدافع عن المركز، فجميع الاطراف السياسية الاقليمية يتنافسون مع احزاب لغتهم، وهذا الواقع خلق انقساماً واضحاً بين الجانبين واصبح المنطق التوافقي هو السائد، وأدى إلى قيام دولة اتحادية توافقية مليئة بالضوابط والتوازنات وتقاسم السلطة وصلاحيات الفيتو، وربما كان منح الاستقلال دستورياً عبر الفيدرالية هو الميزة الأكثر وضوحاً، فالالتزام الدستوري بتقاسم السلطة في الحكومة الفيدرالية، ومنطق اتخاذ القرار بالأجماع عبر تمتع كل طرف بحق الفيتو، علاوةً على إنَّ هناك عدد متساو من الوزراء لكل مجموعة لغوية، كل ذلك يعني إنَّ الامور تم تسويتها دستورياً عبرً التوافق، والنظام الفيدرالي هو الذي هندس هذه التوافقية[34].

فعلى الرغم من وجود آليات للفيدرالية على المستوى الاتحادي التنفيذي والبرلماني، يوجد في المقابل لجنة تسمى (لجنة المداولات)، التي تجمع بين ممثلين اتحاديين واقليميين، تتكون من (12) عضواً (6) منهم يمثلون الحكومة الاتحادية، و(6) يمثلون الحكومات الاقليمية والمجتمعية، والـ(6) الاخيرة مقسمين بالتساوي بين الناطقين بالفرنسية والهولندية، ويحق لهؤلاء تمثيل بلجيكا في الاتحاد الاوروبي بالتناوب كل 6 أشهر، ولم تتبع أي دولة فيدرالية لها عضوية في الاتحاد الاوروبي هذا التطرف كما هو الحال في بلجيكا، إذ يمكن لوزير اقليمي تمثيل وجهة النظر البلجيكية في مجلس وزراء الاتحاد الأوروبي دون طلب موافقة الحكومة الاتحادية[35].

اعتماد النظام الفيدرالي في مملكة بلجيكا كان الهدف الاساس منه هو تنظيم الآلية التوافقية دستورياً في الاقاليم

مما تقدم يتضح لنا إنَّ اعتماد النظام الفيدرالي في مملكة بلجيكا كان الهدف الاساس منه هو تنظيم الآلية التوافقية دستورياً في الاقاليم، وليس ضبط النهج التوافقي عبر السلطات الاتحادية.

المبحث الثالث

النظام الحزبي وبنية الحكومات التوافقية في بلجيكا

عندما تحولت بلجيكا إلى دولة فيدرالية انقسم النظام الحزبي على قسمين بين شرائح لغوية مختلفة لا تنافس انتخابي بينها رغم وجود الاستقطاب الأيديولوجي، كما غابت الأحزاب الوطنية على المستوى الاتحادي حتى بات النظام الحزبي في بلجيكا يمثل حالة التعددية شبه المتطرفة قائمة على الانقسام المناطقي اللغوي، وبسبب تجزئة النظام الحزبي إلى الثنائية فأن الحكومات الائتلافية أصبحت القاعدة وليس الاستثناء، بحيث اسهم هذا النظام في ترسيخ نظام التوافقية في بلجيكا، حتى

(33) versmessn,E:the Belgian regional and national elections of may 1995,regional and federal studies,1995,p244.

(34) Kris Deschouwer: op cit,p12.

(35) wilfried swenden: op cit,p11.

اصبح هناك تقسيم للسلطات بدلاً من فصل السلطات، إذ فقد مبدأ فصل السلطات أهميته فيما يتعلق بالسلطة التنفيذية والتشريعية، لذا كان أثر النظام الحزبي واضحاً وأحد الأسباب الرئيسية في تشكيل الحكومات الائتلافية، على هذا الاساس سيتم تقسيم هذا المبحث على مطلبين، نتناول في المطلب الأول: أثر النظام الحزبي في تشكيل الحكومات الائتلافية البلجيكية، وفي المطلب الثاني: طبيعة الحكومات الائتلافية البلجيكية ومديات استقرارها.

المطلب الأول: أثر النظام الحزبي في تشكيل الحكومات الائتلافية البلجيكية

أن النظام الحزبي في بلجيكا يتصف بسمة غياب الأحزاب الفيدرالية على المستوى الوطني، فمنذ انشقاق الحزب الاشتراكي عام 1978 لم تعد هناك أي أحزاب وطنية في السياسة البلجيكية، ولم ينجح أي حزب سياسي في تنظيم نفسه على أساس ثنائي اللغة، لذا يوجد في بلجيكا نظامين حزبيين متوازنين حتى في بروكسل العاصمة، وحتى الأحزاب التي تقدم مرشحين من كلا المجموعتين اللغويتين وهي نادرة، يحتفظ الناخب بالاختيار الفردي للتصويت لصالح قوائم المجموعة اللغوية التي ينتمي اليها، وعلى هذا الأساس تجري الانتخابات وفق حملتين مختلفتين واحدة في شمال البلاد والأخرى في الجنوب، هذه الظاهرة الحزبية عززت سيطرة النخب السياسية على السلطة من جهة، وترسيخ نظام التوافقية في تشكيل الحكومة والبرلمان من جهة أخرى[36].

(36) caroline van wynsberghe: op cit, p14

لذلك لا يعكس نظام التعددية الحزبية في بلجيكا الانقسامات السياسية والاجتماعية التي أدت الى استقطاب المجتمع البلجيكي على أساس لغوي، فضلاً عن العامل اللغوي يعكس ظهور ابعاد صراع يأخذ جنبة دينية من خلال التعارض بين الحزب الليبرالي والحزب الكاثوليكي، كما ظهرت أهمية الانقسام الاجتماعي والاقتصادي بين اليسار واليمين مع ولادة الحركة الاشتراكية ما ادى إلى تعارض بين الاحزاب الليبرالية والاشتراكية من جهة أخرى.

لا يعكس نظام التعددية الحزبية في بلجيكا الانقسامات السياسية والاجتماعية التي أدت الى استقطاب المجتمع البلجيكي على أساس لغوي

ففي الستينات والسبعينات ارتفع عدد الاحزاب الممثلة في البرلمان بشكل كبير، وبحلول عام 1981 كان هناك (14) حزباً سياسياً في البرلمان الاتحادي، بعدها حدث انخفاض في عدد الاحزاب عندما فقد الشيوعيون وبعض الأحزاب الصغيرة ممثليهم في البرلمان، ورغم ظهور انفراجه بعد قيام الدولة الفيدرالية عام 1993 بشكل رسمي كنتيجة مباشرة للانقسام اللغوي والثقافي المتزايد بين البلجيكيين الناطقين بالهولندية والفرنسية[37]، إلا أن الانقسام ظهر داخل الأحزاب في المناطق، علاوةً على ذلك أن الأحزاب السياسية على المستوى الاتحادي مستقلة تنظيمياً بشكل كامل، بحيث لم تعد هناك أحزاب وطنية على المستوى الاتحادي باستثناء بعض الأحزاب الصغيرة غير المؤثرة، فجميع الأحزاب الفلمنكية والفرونكفونية تقدم نفسها في الدوائر الخاصة بها، بحيث لا يستطيع الناخبون في فلاندرز التصويت

(37) ينظر: رونالد ل.واتس: الانظمة الفيدرالية، مصدر سبق ذكره، ص40.

لمرشحي الوالون، فضلاً عن ذلك هناك الدائرة الانتخابية ثنائية اللغة غير المقسمة في العاصمة بروكسل، إذ يكون التصويت على أساس لغوي، لذلك هذا الواقع أدى إلى ترسيخ الواقع الائتلافي التوافقي حتى على المستوى المحلي[38].

فمثلاً الاحزاب الفلمنكية لاسّيما الديمقراطيون المسيحيون والقوميون ركزوا على اتساع الحكم الذاتي للمنطقة الفلمنكية، وطالبوا بانشقاق الدائرة الانتخابية ثنائية اللغة في بروكسل (هالة-فليفورد) المتحدثة باللغة الفرنسية، رغم معارضة بعض الاحزاب الفلمنكية لمثل هذا الانقسام[39].

وبذلك يتضح أن انقسام النظام الحزبي إلى الثنائية في بلجيكا مرتبط بالواقع الاجتماعي القائم على التصويت العرقي الاقليمي من جهة، فهذان النظامان لا يتنافسان مطلقاً لأنهما يتركزان اقليمياً، فالناخبون الناطقون بالهولندية ينتخبون السياسيين الناطقين بالهولندية، وينطبق الحال على الناخبون الناطقين بالفرنسية، مما يجعل الاحزاب الناطقة بالهولندية تتركز في اقليم المنطقة الفلمنكية، والاحزاب الناطقة بالفرنسية تتركز في منطقتي والون وبروكسل، وأن كانت بروكسل الاقليم الوحيد للمنافسة لكن على المستوى المحلي حصرياً، وليس على مستوى الانتخابات الفيدرالية والاوروبية.

ومن جهة أخرى ساعد النظام الانتخابي (التمثيل النسبي) إلى انتاج تعددية حزبية نابذة أو مستقطبة بين المناطق، كما أدى إلى تشكيل تحالفات غير منسجمة وغير متكافئة على مستوى الحكومة الفيدرالية وبشكل أقل في الحكومات الاقليمية، فأبعاد المنافسة الحزبية تستند على العوامل الاجتماعية والديمغرافية لمختلف الناخبين، وساعد على ذلك طبيعة النظام الانتخابي الذي فاقم من زيادة الأحزاب التي أثرت بشكلٍ مباشر على قيام الحكومات الائتلافية[40].

لكن في عام 2003 أدخلت اصلاحات على النظام الانتخابي بحث اصبح عدد الدوائر (11) اي مساوٍ لعدد المقاطعات بعد أن كان عدد الدوائر (30)، هذا الاصلاح ادى إلى تبسيط توزيع المقاعد إلى حد كبير، كما تم اعتماد عتبة الـ(5%) على مستوى الدوائر الانتخابية في المقاطعات، ومن ثم هذا الأجراء جاء كوسيلة للحد من تفاقم انقسام النظام الحزبي في بلجيكا، وبالفعل ساعدت هذه الاصلاحات على التخلص من الاحزاب الصغيرة[41].

أن المشهد السياسي التوافقي في بلجيكا كان نتيجة لواقع اجتماعي سياسي دستوري، وكان للنظام الحزبي دوراً كبيراً في ترسيخ الواقع التوافقي

مما تقدم يتضح لنا أن المشهد السياسي التوافقي في بلجيكا كان نتيجة لواقع اجتماعي سياسي دستوري، وكان للنظام الحزبي دوراً كبيراً في ترسيخ الواقع التوافقي بسبب التجزئة في هذا النظام لاسّيما بعد فشل الاحزاب الاتحادية في معالجة الولاءات الفرعية، مما أدى إلى غيابها عن المشهد السياسي وظهور أحزاب اقليمية قائمة على الأساس اللغوي في منطقتين سياسيتين بنظامين حزبيين على المستوى دون الوطني، وقد ساعد النظام الانتخابي على هذا الواقع لأنه لا يوفر

(38) Toni Toharudin: individualism, nationalism, ethnocentrism and authoritarianism, university of Groningen, 2010, p32.

(39) Tom Louwerse and Peter Van Aelst: The exceptional Belgian case? Government formation duration in comparative perspective,2010,p13

(40) Jeroen k joly: party system change in Belgium, at: https://www.researchgat.net,(2018,p35.

(41) Lieven De winter and other: party systems and electoral behavior in Belgium at: (https://www.researchgat.net,2015,p7.

دائرة انتخابية واحدة على المستوى الاتحادي، وهذا ما يدفع باتجاه قيام حكومات ائتلافية توافقية.

المطلب الثاني: طبيعة الحكومات الائتلافية التوافقية في بلجيكا ومديات استقرارها

اخذت بلجيكا بنظام الحكم البرلماني، ومن المعروف أن الحكومات المشكلة في هذا النظام لابد أن تحصل على ثقة اعضاء البرلمان، وبعيداً عن الحزب الذي يحصل على الأغلبية البرلمانية فرض الدستور البلجيكي واقع توافقي لتشكيل الحكومة، بحيث أصبح معه واقع الحكومات الائتلافية المشكلة في بلجيكا يختلف عن نظيراتها في باقي الدول الأوروبية، لأننا عندما نتناول الحكومات الائتلافية نجد انفسنا أمام نوعين من هذه الحكومات، وهي الحكومات الائتلافية (التنافسية) (*)، والحكومات الائتلافية (التوافقية) (**)، فقد أشار الدستور إلى أنَ مجلس الوزراء يتكون من (15) عضواً كحد أقصى، ويتضمن باستثناء رئيس الوزراء أعضاء من الناطقين باللغة الفرنسية مساوين في عددهم للأعضاء الناطقين بالهولندية[42]، وهذا يشير إلى أنَ الواقع التوافقي اصبح واقع حال سياسي وانعكاس للواقع الاجتماعي، فحتى لو حصل أي حزب على الأغلبية البرلمانية المطلقة لا يمكنه تشكيل حكومة أغلبية خارج سياق الدستور.

أنَ واضعي الدستور البلجيكي كانوا أمام خيار الأنقسام أو أتباع النهج التوافقي لإدارة الدولة والحفاظ عليها في ظل المجتمع التعددي

وعلى ما يبدو أنَ واضعي الدستور البلجيكي كانوا أمام خيار الأنقسام أو أتباع النهج التوافقي لإدارة الدولة والحفاظ عليها في ظل المجتمع التعددي، فضلاً عن ذلك أنَ أحد أهم اسباب اتباع هذا النهج هو نجاح الأحزاب الإقليمية في كسب الناخبين على أساس لغوي ومناطقي، بالمقابل ضعف بشكل كبير دعم الناخبين للأحزاب التقليدية على المستوى الاتحادي، مما أدى إلى تفكك هذه الأحزاب وإعادة تشكيلها على أسس لغوية، وقد بدأ ذلك مع الديمقراطيين المسيحيين عام 1968، واكتملت مع انقسام الحزب الاشتراكي عام 1978.

أنَ انقسام النظام الحزبي على أسس لغوية انعكس ليس فقط على آلية تشكيل الحكومة، بل على عملية صنع القرار في السلطة التنفيذية والتشريعية، بما يضمن حماية فاعلة لجميع الاطراف، لاسّيما الأقلية الفرنسية، خاصةً و أنَ مجلس الشيوخ المتكون من (71) عضواً قائم على أساس التوافق، وهو يشارك مجلس النواب في تشريع القوانين، لذا لا يمكن تمرير أي تشريع قانوني مالم يتم الموافقة عليه من قبل الأغلبية اللغوية[43]، فعلى مستوى البرلمان هناك حق النقض، عندما تُعلن مجموعة لغوية أنَ اقتراحاً ما سيضر مصالحهم كمجموعة لغوية فيمكنها تنشيط ما يعرف بـ(جرس الانذار) كضمان للأقلية لاسّيما في منطقة بروكسل التي يوجد فيها أقلية ناطقة بالفرنسية، وعادةً يتم تسوية الخلافات حول توزيع السلطات الاتحادية بطرق قضائية، إذ تتولى محكمة التحكيم المكونة من (12) قاضياً، (6) منهم يتكلمون الهولندية، و(6) آخرين يتكلمون الفرنسية، وجميعهم معينين من الحكومة الفيدرالية التوافقية بناءً على اقتراح من مجلس الشيوخ الذي هو الآخر قائم على اساس

(*) وهي الحكومات التي تتشكل من عدة أحزاب بسبب عدم حصول أي حزب على الأغلبية البرلمانية.

(**) وهي الحكومات التي تتشكل وفق نهج معين قائم على تقاسم السلطة بين جميع الأحزاب الممثلة لمكونات المجتمع، بغض النظر عن الأغلبية البرلمانية، وهنا يمكن القول بأن كل الحكومات التوافقية هي حكومات ائتلافية، لكن ليس كل الحكومات الائتلافية هي حكومات توافقية، بل هناك حكومات ائتلافية تنافسية.

(42) المادة (99) من الدستور البلجيكي النافذ لعام 1993.

(43) انظر المواد: (67-81-82) من الدستور البلجيكي النافذ لعام 1993.

توافقي[44]، وبذلك نجد أنَ النهج التوافقي قد شمل جميع مؤسسات الدولة الرسمية. ونتيجةً لهذا الانقسام الحزبي أصبحت العلاقة المتوقعة بين نتيجة الانتخابات وتشكيل الحكومة اشكالية بحد ذاتها، إذ يتحرك النظام الحزبي البلجيكي باتجاهات مختلفة، حتى أصبح معه تشكيل حكومة اتحادية تحترم أرادة الناخب هي ممارسة صعبة، ولابد أنَ تتعارض مع توقعات الجمهور، كما أنَ هذا الانقسام على المستوى الاتحادي أدى إلى زيادة التوترات وعدم الاستقرار السياسي والحكومي على المستوى الاتحادي، إذ أنَ عملية تشكيل الحكومة في بلجيكا وفق البيئة الاجتماعية والسياسية غير المنسجمة صعبة للغاية، وهذا ما جعل تشكيل الحكومة تستغرق احياناً أكثر من (100) يوم، فمثلاً بعد انتخابات عام 2007 استغرق تشكيل الحكومة (194) يوماً، بينما انتخابات عام 2010 فهي المدة الأطول في تاريخ تشكيل الحكومات البلجيكية عندما استغرقت (541) يوماً، وتشير بعض الدراسات إلى أنَ الاستقطاب السياسي والسعي إلى التوافق في تشكيل الحكومة الاتحادية جعل من الحلول الوسط بين الاطراف أكثر صعوبة لعدة اسباب أهمها:[45].

أصبحت العلاقة المتوقعة بين نتيجة الانتخابات وتشكيل الحكومة اشكالية بحد ذاتها

1. تضمين الدستور قواعد أسهمت بالدفع نحو التوافق، كحماية حقوق المجموعات اللغوية في الدولة، وتشكيل الحكومة بالمناصفة بين الناطقين بالهولندية والفرنسية، هذا الواقع الدستوري زاد من تعقيد عملية المساومة لتشكيل الحكومة.
2. الاستقطاب الايديولوجي من حيث التقسيمات التقليدية بين اليمين واليسار، على الرغم من أنَ الاستقطاب اللغوي أكثر تأثيراً، وكثرة الاطراف المشاركة في تشكيل الحكومة، فمعظم السياسات التي يتم تنفيذها من قبل مجلس الوزراء يتم تحديدها وصياغتها ضمن (توافق الائتلاف)، وهذه التوافقات تحدد وتكبح جماح سياسات الحكومة الاتحادية المشكلة[46].

فمثلاً خلال عامي (2008-2009) تم تشكيل وسقوط (4) حكومات، بسبب الخلافات المستمرة بين الديمقراطيون المسيحيون والليبراليون والاشتراكيون[47] لأن بانسحاب أحد الاطراف تفقد الحكومة شرعيتها، أما في الانتخابات النيابية لعام 2014 شكل (تشارلز ميشيل) حكومة ائتلافية فريدة من نوعها ضمت التحالف الفلمنكي الذي شمل الحزب الديمقراطي المسيحي الفلمنكي، والديمقراطيون الفلامنكيون، والليبراليون، أذ اصبح هذا التحالف هو الطرف الرئيسي في تشكيل الحكومة، رغم أنَهم لم يشغلوا منصب رئيس الوزراء الذي كان من الناطقين بالفرنسية، إذ فقدت الأحزاب الناطقة بالفرنسية لأول مرة العديد من المناصب في الحكومة، وشاركت بحزب واحد فقط مقابل ثلاثة أحزاب فلامنكية ناطقة باللغة الهولندية[48].

وكذلك في انتخابات عام 2017 بقي التحالف الفلمنكي مسيطراً على الحكومة الائتلافية التي بقي رئيسها الناطق بالفرنسية (تشارلز ميشيل)، وقد استطاعت

(44) انظر المادة (103) من الدستور البلجيكي النافذ لعام 1993.

(45) Tom Louwerse and Peter Van Aelst: op cit, p12.

(46) Jeroen k joly: op cit,p33.

(47) ibid,p32.

(48) Corinne Deloy: will Belgium re-elect the Swedish coalition in office,federal and regloval elections in Belgium, 26th, my2019,p3.

هذه الحكومة الحفاظ على النزاعات المجتمعية قدر الامكان، مع ذلك حصلت النزاعات والتوترات داخل مجلس الوزراء وبين احزاب التحالف الفلمنكي لاسيما فيما يتعلق بالقضايا الاجتماعية والاقتصادية[49]، وعلى هذا الأساس نجد أنَ مستوى الاستقرار في الحكومات الائتلافية التوافقية في بلجيكا يختلف بين فترة واخرى، وهذا مرتبط بطبيعة وشكل التحالفات ومدى الانسجام بينها، وفيما أذا كانت نفسها الاحزاب موجودة في التحالفات على المستوى الاتحادي والاقليمي.

(49) Benoit rihoux and other: Belgium: Political development and data for 2017,(European Journal of Political Research Political Data Yearbook 57,2018,p32. :

فعندما نتحدث عن العلاقة بين الحكومة الاتحادية وحكومات المجتمعات والاقاليم، نجد أنَ التعاون محدود بحيث لا تستطيع الحكومة الاتحادية فرض قرار معين على المجتمعات والاقاليم دون موافقة حكوماتهم، فمثلاً اقترح أحد الوزراء الاتحاديين زيادة سن التقاعد للمعلمين، لكن تم رفض هذا الاقتراح لأنه يؤثر على السياسات التعليمية وميزانية أحدى المجتمعات، لكن بالمقابل يجب الاشارة إلى ان هناك ترابطاً بين سياسة الحكومة على المستوى الاتحادي والمستوى الاقليمي، عندما تكون الاحزاب المشكلة للسلطة التشريعية والتنفيذية على المستوى الاتحادي هي نفسها على المستوى الأقليمي، أي بمعنى آخر أنَ الحكومات الاتحادية والأقليمية تتشكل من ائتلافات حزبية متطابقة سياسياً[50].

أنَ التعاون محدود بحيث لا تستطيع الحكومة الاتحادية فرض قرار معين على المجتمعات والاقاليم دون موافقة حكوماتهم

(50) wilfried swenden: op cit,p10.

فعلى سبيل المثال تألفت الحكومة الفيدرالية للفترة من (1999-2003) من ثلاثة أحزاب تمثل الفلامنكيين هم (الخضر والاشتراكيون الديمقراطيين والليبراليون)، وثلاثة أحزاب تمثل الفرنسيين هم كل من (الخضر والاشتراكيون الديمقراطيين والليبراليون)، الثلاثة الأولى كانت مدعومة من حزب صغير قومي فلمنكي معتدل، في حين الثلاثة الأخرى هم شركاء في الائتلاف في منطقة حكومة الوالون، وجميع هذه الاطراف الستة تشارك في حكومة بروكسل الاقليمية، هذه الائتلافات الواسعة والشاملة على المستوى الاتحادي والاقليمي ساعدت في بعض الاحيان على التفاهم في حل بعض المشاكل السياسية والاجتماعية والاقتصادية من خلال تقديم التنازلات[51]، لكن يبقى مستوى الاستقرار السياسي لاسيما الحكومي على المستوى الاقليمي أعلى من الاستقرار السياسي على المستوى الاتحادي، فغالباً تشكل الحكومات على المستوى الاقليمي من طرفين على الأكثر، بينما تشكل الحكومات على المستوى الاتحادي من ستة أطراف احياناً[52].

(51) wilfried swenden: op cit,p11.

(52) Routledge: political parties in consociational democracy,London,1999,p77.

يبقى مستوى الاستقرار السياسي لاسيما الحكومي على المستوى الاقليمي أعلى من الاستقرار السياسي على المستوى الاتحادي

وبسبب العلاقة المتعارضة بين الشمال والجنوب البلجيكي توجد خمس كيانات فيدرالية هي[53]:

1. البرلمان والحكومة الفلمنكية: وهي ناتجة عن اندماج مؤسسات المنطقة الفلمنكية والمجتمع، ويضم برلمانها الاقليمي (118) مقعداً، وبرلمان المجتمع الفلمنكي ايضاً يتكون من (118) عضواً في البرلمان الاقليمي، فضلاً عن (6) اعضاء منتخبين على القوائم الفلمنكية في البرلمان الاقليمي للعاصمة

(53) انظر المواد (121-122) من الدستور البلجيكي النافذ لعام 1993.

بروكسل، وتسري قرارات البرلمان على المنطقة الفلمنكية وبروكسل بخصوص شؤون المجتمع الناطق بالهولندية، ويتم انتخاب الحكومة من البرلمان.

2. البرلمان والحكومة الوالونية: وتضم (75) مقعداً تصدر مراسيم بشأن المسائل الاقليمية في منطقة الوالون، بما في ذلك المنطقة الناطقة بالالمانية، ويتم انتخاب الحكومة من البرلمان.
3. برلمان وحكومة الجالية (المجتمع) الفرنسي: هذا البرلمان غير منتخب من قبل الشعب بشكلٍ مباشر، إذ يتألف من جميع اعضاء البرلمان الاقليمي في والون والبالغ عددهم (75) عضواً، فضلاً عن (19) عضواً منتخبين على القوائم الفرنكفونية في البرلمان الاقليمي لبروكسل، ويصدر البرلمان والحكومة القرارات الخاصة بشؤون المجتمع في منطقة والون باستثناء المنطقة الناطقة بالألمانية، ويتم انتخاب الحكومة من البرلمان.
4. البرلمان والحكومة الناطقة بالألمانية: يتألف البرلمان من (25) مقعداً، يصدر المراسيم في شؤون المجتمع الناطق بالألمانية، ويتم انتخاب الحكومة من البرلمان.
5. برلمان وحكومة العاصمة بروكسل: يتألف البرلمان من (89) مقعداً، يتم انتخاب الاعضاء على أساس قوائم أحادية اللغة، (17) مقعداً للمتحدثين بالهولندية، و(62) مقعد للمتحدثين بالفرنسية، و(10) مقاعد لباقي الاقليات، وتتألف الحكومة بالتوافق، ويتطلب انتخاب رئيس الوزراء من الاغلبية المكونة من المجموعتين في البرلمان[54].

(54) kris Deschouwer: op cit,p19.

مما تقدم يتضح لنا أنَ الواقع التوافقي في بلجيكا قد فرض أولاً بسبب الاختلاف اللغوي داخل المجتمعات والذي انعكس بدوره على طبيعة الأحزاب السياسية التي سارت مع الواقع الاجتماعي للتحول إلى احزاب اقليمية دون الوطنية، وهذا ما فرض على واضعي الدستور مراعاة الواقع الاجتماعي والسياسي وتنظيمه في قواعد قانونية ثبتت مبدأ التوافق ليس فيما يخص تشكيل الحكومات، بل على المستويات الاخرى في السلطة التشريعية والقضائية ايضاً، فالهيكل المنظم للمجتمع البلجيكي بغض النظر عن الجانب اللغوي الاهم، ينقسم بين ثلاث اتجاهات هي (الكاثوليك والليبرالية والاشتراكية)، وكانت الأحزاب تمثل اوضح شكل من اشكال الانقسام، ووفق هذا الهيكل الاجتماعي والتعدد اللغوي والانقسام المجتمعي وفي ظل نظام انتخاب بالتمثيل النسبي ودستور رسخ الحكم التوافقي، جعل تشكيل الحكومات الائتلافية التوافقية أمر واقع لا مفر منه.

أنَ الواقع التوافقي في بلجيكا قد فرض أولاً بسبب الاختلاف اللغوي داخل المجتمعات والذي انعكس بدوره على طبيعة الأحزاب السياسية

(الخاتمة)

أنَ نقطة انطلاق الواقع التوافقي في بلجيكا جاءت بعد أنَ ادرك المجتمع والنخب السياسية أنَها الحل الوحيد للحفاظ على وحدة الدولة، فالتوافقية في بلجيكا نظام

سياسي قائم على تقاسم السلطة نتيجة الانقسام المجتمعي، وهذا ما دفع إلى الأخذ بالفيدرالية التي تُعد من الأمثلة النادرة في العالم لما يسمى بالفيدرالية غير الترابطية، فهناك نوعان من الكيانات الفيدرالية كل منها تتداخل مع الاخرى في بروكسل، وربما من حافظ على كيان الدولة موحداً هو التوافق أكثر من الفيدرالية، لأن الاخيرة محدودة التأثير لاسّيما فيما يتعلق بالقرارات المهمة، ففي ظل الانقسام الاجتماعي والاقتصادي اصبحت معه سياسة الاغلبية سبباً في التوترات السياسية وكان الحل الوحيد هو الابتعاد عن التنافسية والاعتماد على استراتيجيات توافقية.

وعلى ما يبدو أنَ عملية تفويض وتقسيم السلطة توافقياً في بلجيكا قد ساعدت على تخفيف التوترات الحادة بين المجموعات اللغوية المختلفة، وظهر ذلك بشكلٍ واضح من استقرار الحكومة الاتحادية للمدة من (2014-2017) ، مع ذلك بعضٍ التحديات الرئيسية على المدى الطويل لاتزال قابلة للاستمرار في الفيدرالية البلجيكية، في ظل غياب الاحزاب الوطنية، وقوة النظام الحزبي على المستوى الاقليمي، فبسبب هذه التجزئة اصبحت الحكومات الائتلافية هي القاعدة وليس الاستثناء، لكن ربما هذه التجزئة أسهمت في الحفاظ على الاستقرار السياسي في الاقاليم، لكن على حساب المركز الذي بقيت حكوماته تعاني من فقدانه للقرار لصالح الاطراف.

صحيح أنَ الواقع التوافقي في بلجيكا قد أسهم في تخفيف حدة التوترات الاجتماعية والسياسية لاسيما عندما منحت الاقاليم صلاحيات كاملة على اقليمها، لكن تبقى الاشكالية الرئيسية هي في السلطات الاتحادية، ففقدان الاخيرة لسلطاتها الحقيقية كباقي الدول جعلت الاقاليم اشبه بالدول المستقلة عن المركز، ولا تقاس قوة الدولة الا عندما تتعرض للتحديات الخارجية، فأي تحدي خارجي لمملكة بلجيكا مستقبلاً قد يزيد من مطالبة الاقاليم بمزيد من الصلاحيات على حساب المركز، وعلى ما يبدو أنَ الحل يكمن في معالجة النظام الحزبي الثنائي واعادة بناء الاحزاب على المستوى الاتحادي وتوعية المجتمع التعددي بتقديم مصالح الدولة العامة على المصالح الفرعية، لأن ذلك سيجبر الاحزاب على تبني سياسات وطنية، تحافظ على وحدة الدولة من جهة، وتنتقل من التوافقية إلى التنافسية.

المصادر

أولاً: الوثائق الدستورية

-1 الدستور البلجيكي النافذ لعام 1993.

ثانياً: الكتب العربية والمترجمة

ارنت ليبهارت: الديمقراطية التوافقية في مجتمع متعدد، ترجمة: حسني زينة، معهد الدراسات الاستراتيجية، بيروت، 2006.

1. رونالد ل. واتس: الانظمة الفيدرالية، ترجمة: غالي برهومة وآخرون، منتدى الاتحادات الفيدرالية، كندا، 2006.
2. عبدالله محمد عبدالرحمن: علم الاجتماع السياسي(النشأة التطورية الحديثة

والمعاصرة)، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، 2001.
3. مارك فان دير هولست: بناء الدولة العراقية الواحدة-الخيارات الفيدرالية والتعامل مع التنوع، عمان، 2006.

ثالثاً: الرسائل والاطاريح الجامعية

1. فراس عبدالكريم محمد علي: النظام السياسي لدول البينلوكس – دراسة تحليلية-، رسالة ماجستير(غير منشورة) ، جامعة بغداد، كلية العلوم السياسية، 2008.

رابعاً: المصادر الأجنبية

1. Benoit rihoux and other: Belgium: Political development and data for 2017.
2. caroline van wynsberghe: The Belgian Example, weaknesses of the federal formula as implemented in Belgium,catholic university of Louvain
3. Corinne Deloy: will Belgium re-elect the Swedish coalition in office,federal and regloval elections in Belgium, 26th, my,2019.
4. DESCHOUWER, Kris, « La dynamique fédérale en Belgique », in FOURNIER, Bernard et REUCHAMPS, Min (eds.
5. European Journal of Political Research Political Data Yearbook,2018.
6. Jaak Billiet,Bart madbens and Andre-paul Frognier: differences in political culture between Flemings and Walloons, west European politics, vol 29,No5,2006
7. kris Deschouwer: governce of the public sector in Belgium, uNRISD,2004.
8. Le fédéralisme en Belgique et au Canada. Comparaison sociopolitique. Bruxelles : De Boeck, 2009.
9. philippe hambye: Langageet sogiete,competitive-advantage,2009.
10. Routledge: political parties in consociational democracy,London,1999.
11. Tom Louwerse and Peter Van Aelst: The exceptional Belgian case? Government formation duration in comparative perspective,2010 .
12. Toni Toharudin: individualism, nationalism, ethnocentrism and

authoritarianism, university of Groningen, 2010.
13. versmessn,E:the Belgian regional and national elections of may 1995,regional and federal studies,1995.
14. wilfried swenden:Belgian federalism, Robinson college, Cambridge,UK,2003 .

خامساً: المواقع الإلكترونية

1. AMCHAM BELGIUM: be/blog/multilingualism-belgium
2. https://www.researchgat.net,2015.
3. Jeroen k joly: party system change in Belgium, at: https://www.researchgat.net 2018, .
4. Lieven De winter and other: party systems and electoral behavior in Belgium at:)
5. worldometers.info/world-population/Belgium-population.